# لیلیث

ليليث
رواية
هيثم ممتاز
الطبعة الأولى : ٢٠١٥

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف : أسامة علام
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢١٦٣٢
رقم الترقيم الدولي : 978-977-6412-86-6

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

هیثم ممتاز

# لیلیث

# إهداء

إلى أمي وأبي وإخوتي..
إلى الأستاذة ناهد ياسين ..
إلى سارة فاروق ..
إلى أصدقائي ..
إلى الشخص الذي إستلهمت منه الرواية ..
إلى كل من أحبهم ويحبوني ..

**أهدي إليكم هذه اللعنة .**

-١-

قلبه مفتوح على مصراعيه.. مفتوح على شهوته التي لا تنتهي من كل ما لذَّ وطاب من النساء.. قلبه لا يهدأ، وتتصارع في تلك اللحظة أفكاره الشهوانية، وهو في طريقه إلى شقة إحداهن.. ينظر إلى ساعته فيجدها الحادية عشرة مساءً، فيقول لسائق التاكسي الجالس بجانبه:

- أسرع لو سمحت.

يسرع سائق التاكسي إلى أن يقف عند باب عمارة عالية، فيدفع له الأجرة، ثم ينزل ويعدِّل سرواله، ويُخرج زجاجة عطر صغيرة من شنطة يحملها، ثم يرشُّ منها الكثير على ملابسه ويعيدها مكانها، ويتأكد من تصفيفة «الكيرلي» لشعره البني الغامق، ويخطو أولى خطواته إلى باب العمارة، وعند المدخل - حيث المرآة المواجهة للباب - يرى هندامه ووجهه القمحي الحليق، متأملًا هذا الشعر أسفل الشفتين، وعينيه الواسعتين، وتلك الابتسامة التي لا تفارقه، يُخرج تليفونه من جيبه، ثم يتصل وينتظر قليلًا، حتى سمع ذلك الصوت الرقيق، ذا النبرة الملائكية، هذا إن كان للملائكة أصوات، بمجرد أن سمع صوتها انشرح قلبه:

- ألو.. أنا وصلت.. وسأصعد الآن.

يخطو خطواته بسرعة، راسمًا على وجهه ابتسامة، وينتظر المصعد، ثم يركبه ليصعد به إلى الدور المنشود.. يضغط على زر الجرس، ويسمع صوته المزعج يأتي من الداخل، كصوت أنفاسه المتوترة المزعجة.. ويقف منتظرًا إياها، ويزداد التوتر على ما كان إلى أن تفتح، وعندما تفتح له الفاتنة الجميلة الباب، ينتفض انتفاضة خفيفة من أثر شعور طفيف سرى إلى جسده.. ينظر إليها.. ما هذا الجمال؟ أنثى جسدها يعجُّ بفواكه الصيف والشتاء التي لا تخفي منها سوى الجزء البسيط، تزداد الرغبة أكثر فأكثر، ويدخل، فتحضنه ويحضنها بشكل يليق بعاشقين تعرَّفا على بعضهما البعض منذ سنين، لا منذ بضع ساعات فقط.

تلك الجميلة ليست الأولى، ولن تكون الأخيرة.. فكل ما يفعله مكرر مع كل واحدة منهن، فما إن ينتهي يقوم ليأخذ سيجارة ثم يشعلها، ثم يأخذ مائة جنيه من جيب سرواله، ثم يعطيها لها ويجلس، قائلًا:

- خذي المال.

فتأخذه منه من دون ولا كلمة.. فيبتسم لها، قائلًا:

- سأكرر اللقاء بك في ليلة أخرى، فأنا أحببتك.

تبتسم هي بدورها، ويغادر بعدها فلا يراها بعد ذلك ولا تراه.. فيذهب في اليوم التالي ليصطاد أخرى. هذه هي حياته؛ حياة مرتبطة بالشهوة الجسدية، ولا شيء آخر، إلا بعض التمارين الرياضية في «الجيم»؛ ليظهر رشيقًا أنيقًا في جميع الأحوال، مستحوذًا على نظرات النساء الشهوانية.. إلا أنه في هذا اليوم لم يكرر ذلك الروتين الذي تعوَّد أن يفعله، أو بمعنى أصح لم يقصد أن يكسر هذا الروتين مع هذه العاهرة، فقد نام نومًا عميقًا واستيقظ صباحًا فلم يجدها ولبس ملابسه، ثم غادر شقتها.

يومه ما هو إلا التزويغ من الجامعة ليذهب ويجلس على «الكوفي شوب» يشرب ويأكل مع أصدقائه إلى المغرب، ثم يسرع خطواته ويجري على الرزق ليبحث عن أي فتاة «شمال» يقضي معها باقي يومه، ثم يعود إلى منزله،

إن لم يجد صيدًا جديدًا، ويفتح الإنترنت، ويضيف أي بنت «شمال»، أيضًا على «الفيس»، ليأخذ منها موعدًا للمقابلة. يأخذ مصروفه من والده - الذي يعتقد خطأً أن ابنه يجتهد في دراسته - ليذهب إلى الجامعة. على الرغم من أن والده على علم بأن ابنه يرسب في المواد، معظمها إن لم تكن كلها، فوالده طيب جدًّا، ويحبه جدًّا، فعندما أتى عليه ابنه في الصباح قائلًا:

- صباح الخير.. أين مصروفي؟

رد قائلًا:

- ها هو مصروفك.

وأعطاه مائتي جنيه.

- سأذهب إلى الجامعة، وأدفع اشتراك الإنترنت والجيم، ثم أحضر.

- إن وجدت الموبايل الذي تحبه اشتره يا «وحيد».

- أشكرك يا أبي، إذن أعطني سبعة آلاف، غير المائتين.

فيعطيه الأب المال عن طيب خاطر، ويغادر «وحيد» فرحًا، فأبوه لم يحرمه من شيء قط، طالما يعلم أنه يذهب إلى الجامعة، ولا يهمه إن نجح أو رسب، فالمال موجود لم تأكله النار بعد.

لا يشغل فكره أي شيء سوى النساء، فأين سيذهب ليقضي ساعات مجون مع واحدة منهن؟ وهل ستكون طمَّاعة ومغالية في المبلغ المطلوب من المال مثل من سبقتها؟ ليس لديه أي هدف في حياته ولا طموح.. يحب حياته هكذا كما هي، فهو لا يحب المسئوليات.. يحب أن يعيش مدللًا كما هو.

يجلس على القهوة مع صديقيه «مازن» و«سامح»، يتحدث كل منهم عن خبرته مع النساء.. كان الأخير معتزل النساء – مؤقتًا - لأنه مرتبط بفتاة رشحها له أبوه، وعلى وشك الزواج منها، إلا أنه يحب سماع تلك الحكايات من صديقَي عمره.. يطرق «مازن» على كتف «وحيد»:

- هل حكيت لكما عن تلك الفتاة التي وجدتها في الشارع؟

يرد عليه «سامح»:

- احكِ.
- بينما كنت عائدًا من القهوة إلى منزلي وجدت فتاة تنظر حولها فذهبت نحوها وقلت لها:
- أيمكنني مساعدتك ؟
ابتسمت لي، وقالت:
- أنا تائهة، أيمكنك أن توصلني إلى هذا العنوان؟
فقلت لها:
- طبعًا.
وأخذتها لأوصلها إلى المكان الذي تريده وتعرَّفنا على بعض في الطريق، وأخذت رقم موبايلها، وقررنا أن نتقابل ونفعل كل شيء.
نظر له «وحيد» قائلًا:
- ليس مثل ما حدث معي، فاليوم وأنا في الطريق وجدت فتاة فذهبت نحوها ثم أوقفتها وتعرفنا على بعض، وبالتأكيد سأراها اليوم.
يتابع «سامح» كلامهما في شغف وفي صمت.. تمر بجانبهم فتاة جميلة الجسد والوجه ينظر لها «مازن»، ثم ينظر لصديقيه:
- بعد إذنكما.. هناك «مصلحة».
ويقوم ذاهبًا نحوها، أما «وحيد» فينظر إلى الموبايل، ويقوم قائلًا لـ«سامح»:
- أما أنا فلديَّ مشوار مهم، اعذرني يا صديقي.
تركا «سامح» وحده.. وذهب كل منهما إلى مصلحته.. هذه هي الحياة بالنسبة لهم.. وهكذا تمر الأيام مخلوطة بالشهوة.

-٢-

الإنترنت عادةً ما يُستخدم لأغراض غير نبيلة، متخذًا أجواءً شهوانية تحت مسمى «التعارف»، كما هو الحال مع «وحيد».. فما إن انتهى من اللقاء مع تلك الفتاة التي قابلها اليوم ودار بينهما ما هو متوقع من اختلاط جسدي، عاد مرهقًا إلى منزله فرحَّب به أبوه قائلًا:

- أكيد الجامعة مرهقة، إني أقدِّر تعبك يا بنيَّ.

- نعم يا أبي.

- الغداء بالمطبخ، ادخل لتأكل.

- ليس قبل أن أجلس على الإنترنت قليلًا.

- أهناك شيء مهم لتنجزه قبل تناولك الغداء؟

- بالضبط.

جلس أمام الكمبيوتر، ففي الحقيقة ما يفعله في هذا الوقت هو ما يحدد جودة يومه غدًا، فجلس وفتح موقع التواصل الاجتماعي ودخل يبحث عن الفتيات ويضيف كل فتاة تضع صورتها الحقيقية، وأعجبته، أو كما يظن هذا، ثم ما إن انتهى حتى قام ليتناول غداءه بعد المتعة التي حققها اليوم مع فتاة رآها بالصدفة وتقابلا عن موعد.

انتهى من غدائه، وعاد ليجلس على الإنترنت، فوجد عددًا من الإضافات تم قبولها.. وفي الحقيقة تم قبولها بناءً على صورته وهو في الساحل مبتسمًا للكاميرا، وعلى وجهه الوسامة.. لم تسعه السعادة التي حلَّت عليه فور قبولهن لصداقته، فسارع إلى الحديث مع كل واحدة ليعرف نظامها معه.. تحدث مع «ماري» و«سارة» و«تالين» وغيرهن، واتفق معهن على المقابلة مقابل المال.. طبعًا، فالمال خُلِقَ للحصول على الرزق، والفتيات ما هن إلا رزق بالنسبة لـ«وحيد».

انتهى من جلوسه على الإنترنت فقام منهكًا للنوم، فلقي أباه الذي سأله:

- ألديك إجازة غدًا، إنه الجمعة؟

- حقًا؟ غدًا الجمعة؟ نعم أعتقد أنه إجازتي.

- إذن سوف تذهب معي إلى المطعم الذي افتتحه صديقي «جون».

هنا تذكَّر «وحيد» اتفاقه مع البنات اللاتي تعرف عليهن منذ قليل، فقال لأبيه متحججًا:

- لا أظن أنني سأذهب معك غدًا، فسوف أذهب للمذاكرة مع أصدقائي.

- ألا يمكن أن تذاكر معهم في يوم آخر؟

- سأحاول أن أعتذر لهم يا أبي.

- حسنًا.

ثم تركه أبوه، وذهب «وحيد» إلى سريره لينام وقد قرر الاعتذار للبنات عن اللقاء.. فإلغاء موعده معهن مسألة مفروغ منها؛ لأنه في الوقت نفسه متشوق للذهاب إلى مطعم صديق أبيه ليراه.

قضى الصباح كله في الاعتذار للفتيات عن مقابلتهن وإتمام موعده المنتظر معهن.. إلى أن استيقظ أبوه، فتناولا الفطور، واستعدا للذهاب إلى افتتاح مطعم صديق والده. توقفت سيارة والده ونزلا، فوقعت عينا «وحيد» على مكان ضخم تعلوه لافتة مكتوب عليها «جنة آدم» فنظر إلى والده الذي قال:

- اسم جميل.

استمرا في طريقهما للدخول إلى المطعم.. أول ما لاحظه «وحيد»، فور دخوله المطعم، كان الديكور، فالديكور يشعرك أنك في جنة فعلًا.. أوراق الشجر الاصطناعية تملأ حوائط المكان، والسقف والكراسي مصنوعة من خشب الشجر.. والكراسي كانت كما لو تأتي بشجرة ثم تقطع نصفها العلوي لتجلس عليها، والمناضد أيضًا بنفس فكرة الكراسي.. هناك في الركن الشمالي من دخولك للمطعم شجرة تفاح اصطناعية كاملة للزينة.. المكان مذهل، خطف لبَّ «وحيد» ووالده، فالمكان كجنة فعلًا، أو غابة رائعة.. أما رائحة المطعم فهي رائحة عطور الأزهار، ما يشعرك فعلًا أنك في الجنَّة.

ما إن دخلا المطعم المليء بالزبائن حتى لاحظهما رجل يرتدى بدلة رمادية اللون.. قريب من سن والد «وحيد»، فأقبل عليهما مُرحِّبًا.. وسلَّم على والد «وحيد» بسرور، قائلًا:

- أهلًا بصديقي العزيز «سعيد».

ابتسم «سعيد»، وقال:

- لبيت دعوتك على الفور.

ثم ابتسم لـ«وحيد»، وسلَّم عليه، قائلًا:

- ما شاء الله كبرت يا «وحيد».

ابتسم «وحيد» صامتًا.. دعاهما الرجل للجلوس على منضدة لا يجلس عليها أحد، من الواضح أنه حجزها لهما، جلس «وحيد» بجانب «والده»، وجلس الرجل أمامهما، ثم طلب لهما الغداء، وأخذ يتحدث مع «سعيد» إلى أن جاء الغداء فتركهما ليتناولا الغداء وقام ليجهز للاحتفال بالمطعم مع العاملين، ثم عاد ليكمل حديثه معهما.. ابتسم «سعيد»، وقال لصديقه:

- فكرة اسم المطعم جيدة تليق على ديكور المطعم.

- وددت أن يشعر كل من يدخل المطعم كأنه جالس في «جنة آدم».

قال «وحيد» لصديق أبيه:

- أعجبتني الشجرة، فهل هي مستوحاة من شجرة آدم؟

- بالضبط.. أفهم من ذلك أن المطعم أعجبكما؟

قال «سعيد»:

- سوف آتي لأتناول الطعام هنا من آن لآخر.

مرَّ الوقت وشعر «وحيد» بعد ساعتين من وجوده بشيء غريب لم يفهمه.. إحساس يأتيك كأنك تشعر بأن هناك شخصًا ما ينظر لك طويلًا يراقبك.. التفت باحثًا حوله مرارًا فلم يجد شخصًا محددًا ينظر إليه، فالناس منهم من يأكل، ومنهم من يتحدث مع الشخص الذي أمامه! عجيب هذا الإحساس الذي شعر به فجأة.. ولكنه تجاهله، فلا شيء يدعو للقلق، فلماذا القلق وهو في نزهة في «جنة آدم»؟

-٣-

قضى يومه سعيدًا.. فكان احتفال مطعم صديق أبيه فوق الروعة بالنسبة له.. عاد إلى منزله مع والده الذي زاده الأكل كرشًا فوق كرش. أول شيء فعله «وحيد» بعدما عاد أخيرًا هو أن ذهب إلى الإنترنت ليعوِّض المقابلات التي ضاعت منه اليوم.. فتح موقع التواصل الاجتماعي وأخذ يقلِّب طويلًا في صفحته، وفي الصفحة الرئيسية، وفي صفحات الفتيات فيضيف كل فتاة تضع صورة لها جميلة -ليس المهم أن تكون صورتها- المهم هنا أن تكون جميلة أو مقبولة في الواقع حتى يختارها لينام معها.

في جانب الصفحة نظر إلى الأصدقاء المقترحين فوجد عددًا من الأصدقاء، ولكن فجأة اختفوا ليحل محلهم صورة بروفايل (صفحة شخصية) لفتاة اسمها «lily katty» أعجبه الاسم، فجاء في مخيلته أن صاحبته فتاة في الثامنة عشرة من عمرها، رقيقة وجميلة، وهو يعشق الرقة والجمال في الأنثى، فأرسل لها طلب الصداقة، وبعد ثانية بالضبط قبلت طلب الصداقة.. تعجب «وحيد» من هذه السرعة المذهلة لقبول الصداقة، ففي الغالب تبلغ مدة قبول الصداقة دقيقة مثلًا، إنما ثانية واحدة؟ من المؤكد أنها تقصده بالذات.

وفورًا أيضًا أرسل لها رسالة:

- مرحبًا.

ردت عليه بسرعة مذهلة.. سرعة تفوق الضغط على أزرار الكيبورد لكتابة حروف الكلمة:

- مرحبًا.

عاد «وحيد» للحوار معها، وكان ردها دائمًا سريعًا جدًّا كسرعة الضوء.

- هل لي أن أتعرف ؟

- طبعًا.

- ما اسمك؟

- سمني «لي لي».

- أهذا اسمك الحقيقي؟

-وهل (Lonely) إسمك الحقيقي ؟

- لا أكيد أنا اسمي.

ردت بطريقة غير طبيعية:

- اسمك «وحيد»، ٢٠ سنة، اسمك وحيد سعيد.

- كيف عرفتِ؟

- من يسأل لا يتوه.

- هل تقابلنا من قبل؟

- ربما.

- ولكن كيف عرفتِ هذه المعلومات؟

- اطمئن، فأنا لست فتاة نمت معها من قبل، ولست فتاة سلَّطها أحد عليك.

- كيف تعرفين هذه المعلومات كلها؟

- من يحب شخصًا يهتم بأمره؛ خيره وشره.

- من أنتِ؟

- فتاة أحبتك.

- أريد أن أراكِ.
- ستراني.
- كيف تبدين؟
- ستراني كما تشتهي.
- إنني أشتهيكِ جميلة.
- كما تريد.

وانتهى الحوار؛ و«وحيد» متعجب من أسلوب تلك الفتاة «لي لي» وسرعتها المدهشة في الرد.. حتى إن كانت مجهّزة ردودها ,فمن المستحيل أن تأتي بهذه السرعة.. اتفق معها على المقابلة. وذهب إلى فراشه حاملًا معه نشوة سيحققها، فلديه يوم حافل غدًا في النهار مع أصدقائه، وفي الليل معها، ولكن عليه أن يعيد الكلام معها ليتفق على مكان المقابلة.

في اليوم التالي قام بفتح موقع التواصل الاجتماعي، وأرسل لها رسالة، ردت عليه بالسرعة نفسها:

- أين سنتقابل؟
- في منزلك.
- في منزلي؟ فكَّر قليلًا فتذكَّر أن والده لديه مشوار ليلًا، وردَّ عليها:
- حسنًا نتقابل في منزلي.. خذي العنوان.
- من يسأل لا يتوه.
- ولكنكِ لا تعرفين بيتي.
- دعك من هذا الأمر، سأصل إليك عند الساعة العاشرة.

انتظر اليوم بأكمله لهذا الموعد، فجلس يتخيل شكلها.. يتخيل عينيها الزرقاوين الواسعتين.. بياضها.. شعرها البني.. وجهها شبه الدائري.. ملامحها.. جسدها.. كل تفصيلة في جسدها، تخيلها وحكى لأصدقائه وشاركهم سعادته. عاد إلى منزله وجلس وجهَّز حاله وانتظر أباه ليغادر المنزل، وعندما غادر قام «وحيد» حينها ولبس أجمل ملابسه ولبس ساعة الـRolex وجلس بانتظارها.

الساعة ١٠:٠٠ مساءً بالضبط.. سمع «وحيد» جرس المنزل فأسرع راكضًا ليفتح الباب، وعندما فتح وجدها.. فتاة مثل سنِّه، أدهشه -كما توقَّع- جمال عينيها الزرقاوين الواسعتين، وسحرَه بياضها، وبشرتها الجميلة، وأثاره جسدها بارز التفاصيل كتمثال «أفروديت»، آلهة الجمال عند الإغريق، نظر لها مبتسمًا ظاهرًا أسنانه من شدة الابتسامة، هائمًا، وقال بصوته الهادئ:

- يا إلهي، كما اشتهيتك بالضبط.

- ها قد جئت في موعدي.

دخلت المنزل ووقفت عند الباب واحتضنها، وذابا معًا في عناقٍ حار.. ذابا وانطلقت شهوتهما معًا.

-٤-

بعد تلك الليلة الجميلة التي قضاها «وحيد» مع «لي لي» في نشوة رائعة على سريره. وبعد أن جرى ما جرى بينهما من ذهاب إلى القمر وإياب..

جلس «وحيد» على السرير، بينما هي تلبس ملابسها من جديد، قائلًا:

- سنكرر ما حدث الليلة مرة أخرى، فلقد أحببتك.

- لا لن تخدعني بتلك العبارة التي تقولها لكل فتاة.

- أنتِ غير كل فتاة نمت معها.

- سأراك مرة أخرى.

أخرج من محفظته مائة جنيه، ثم مدَّ يده بها إليها.. نظرت له، ونظرت إلى المال، ثم التفتت لتخرج خارج الغرفة.. تساءل «وحيد»: لماذا لم تأخذ منه المال مثل كل فتاة جشعة تبيع جسدها وعرضها من أجل المال؟ لماذا أحسَّ في عينيها أنه جرحها عندما مدَّ إليها يده بالمال.. خرج من تساؤلاته وهو لا يزال جالسًا على السرير.. تُرى هل خرجت من الشقة؟ نادى عليها فلم ترد.. تنهد تنهيدة عميقة:

هل أحبتني؟

ينظر إلى الفراغ بعين خالية من الحياة ممتلئة بالحنين.. الحنين إليها.. تبًا لقلبه:

هل أحببتها فعلًا؟

أحببتها؟ تساءل وهو يمقت نفسه.. أأتى عليه اليوم ليحب فتاة نام معها؟ إنه كان دائمًا يقول كلمة «أحببتك» لأي فتاة ينام معها على سبيل المجاملة بعد الليلة التي يقضيها معها.. ولكن هذه المرة مختلفة تمامًا.. مختلفة لدرجة أنه لأول مرة يهتم بمشاعر فتاة.. اهتمَّ بمشاعرها وأحسَّ بأنه جرحها جرحًا قاسيًا عندما مدَّ يده ليعطيها المال.. بالتأكيد أنها شعرت أنه يعاملها كسلعة رخيصة!

تبًا لقلبي.

قالها وهو يستغرق في النوم.. ويذوب وهو يتمنَّى أن يراها مرة أخرى.. بالتأكيد سوف يراها مرة أخرى.

استيقظ بعد ساعات.. نظر إلى الساعة فوجدها الخامسة صباحًا.. سحب موبايله الجديد الذي اشتراه وهو على السرير ودخل على موقع التواصل.. أرسل لها رسالة:

- لا تغضبي مني.

وبمنتهى السرعة ردت عليه:

- لا يوجد من يغضب من روحه.

- أأنتِ مستيقظة؟

- مستيقظة من أجلك يا «وحيد».

- أرحتِني جدًّا.

- هيا يا حبيبي أكمل نومك.

أرسل لها «إيموشن» مبتسمًا، ثم وضع موبايله جانبًا ونظر إلى السقف فوجده يرقص فرحًا لفرحته.. ابتسم ابتسامة جعلته يتمنَّى أن يراها في الحلم.. فقط يراها.. يشبع عينيه منها.. يذوب معها.. هيا يا نوم تعالَ فخذني إليها.

تبًا لقلبي.
يجلس «وحيد» وحيدًا تحت شجرة تفاح.. حوله الحدائق والنباتات.. نسيم الهواء يداعب جبينه فيترك عليه ورودًا طارت مع تلك النسمات.. ينظر من بعيد فيرى فتاة جميلة تأتي من هناك تقترب منه.. فإذا هي «لي لي» تقترب منه وتقترب ثم تختفي.. سمع صوت فحيح فنظر إلى أحد فروع الشجرة فرأى أفعى جميلًا لونها.. يبحث عن «لي لي» أين هي؟ تكلمت الأفعى:
- هنا حبيبي.
استيقظ من النوم على صوت والده:
- استيقظ أيها النائم.
فتح عينيه الناعستين ونظر إلى أبيه، قائلًا:
- اليوم إجازة يا أبي.
- إذن قم والبس وتعالَ معي.
- إلى أين؟
- إلى «جنة آدم».
- ماذا؟
- مطعم صديقي «جون».. إنه دعانا للغداء عنده.
سرح «وحيد» مع أفكاره قليلًا.. مطعم «جنة آدم»، وحلمه الذي رآه فيهما تشابه غريب.. فكلاهما جنة آدم، بالطبع، فقد رأى نفسه «آدم» في الحلم.. ولكن ما علاقة «لي لي» بهذا؟ أضغاث أحلام بالطبع، أو ربما طبع تأثره بالمطعم على عقله، فجعله يحلم بمثل هذه الأحلام.
في المطعم استقبلهما «جون»، قائلًا:
- أهلًا بكما في مطعمي.. أشكرك يا «سعيد» لأنك لبيت دعوتي.
وسلَّم على «وحيد».. وجلسوا على تلك المنضدة المشهورة.. أعاد «وحيد» النظر إلى المطعم وديكوره.. فقد أعجبه جدًّا.. ألقى نظرة على الشجرة.. شجرة آدم.. فكانت شبيهة جدًّا بتلك الشجرة التي رآها في الحلم.. إنه يخشى

أن يعيد الحلم.. فيقوم مثل المجنون ويجلس تحت تلك الشجرة لتأتي «لي لي»! «لي لي»؟ أخرج موبايله وقال في سرِّه:

- أوحشتني هذه الجميلة.

فتح موقع التواصل الاجتماعي.. فأرسل لها:

- وحشتيني.

ردت عليه بالسرعة المعتادة كأنها تقضي حياتها كلها على الموقع:

- وأنت أكثر.

- أين أنتِ؟

- دائمًا معك يا حبيبي.

ابتسم ودارت بينهما محادثة تمنَّى أن تبقى إلى الأبد، ولكن الأبد لا بد أن ينتهي كنهاية الكون.. خاف أن ينتهي الحوار وانتهى بالفعل على صوت «جون»:

- لماذا لا تأكل يا «وحيد»؟

نظر «وحيد» فرأى الطعام.. فقد نسى نفسه مع «لي لي»، ابتسم إلى صديق أبيه وأخذ يأكل.. استأذنهما الصديق، قائلًا:

- بعد إذنكما.

قام وتركهما يأكلان، فأكلا وشربا وقاما ليعودا إلى منزلهما.

عاد ولم يتمالك نفسه، ففور دخوله من باب منزله أسرع وفتح موقع التواصل الاجتماعي عبر جهازه الشخصي، ودخل متشوقًا للكلام معها.. جاءت له فكرة أن يأخذ رقم موبايلها ليكلمها أينما شاء في أي وقت.

تبًا لقلبي.

دخل على صفحتها «lily katty» وأرسل لها رسالة.. فردت عليه بالسرعة المعتادة:

- وحشتني.

- للتو وصلت منزلي.

- أعلم يا حبيبي.
- أيمكن لي أخذ رقم موبايلك؟
- لن نحتاج إلى موبايل، فأنا دائمًا معك.
- كيف هذا؟
- بقلبي.
- متى سأراكِ؟
- اليوم إن أردت.
نظر إلى ساعته فإذا الساعة تشير إلى الرابعة.
- سأراكِ اليوم، ولكن أين؟
- في منزلك.
بينما وأنامله تخط «ولكن...»، قاطعه «سعيد» قائلًا:
- أنا سأغادر الآن للعمل، أتريد شيئًا؟
نظر إلى أبيه وهو يخفي سعادته بهذه الصدفة الرائعة.. أخيرًا سيراها مرة أخرى.. ويدور بينهما هذا اللقاء المشوَّق مرة أخرى.
- لا يا أبي شكرًا.
عاد إلى حواره مع «لي لي»، ومسح كلمة «ولكن...» وكتب:
- الساعة الثامنة، موافقة؟
- ستجدني عندك في هذا الوقت.
أغلق الحوار والدنيا لم تسعه من الفرحة.. فقد حانت له الفرصة للجلوس معها أطول وقت ممكن.. يجلس معها.. الجسد لن يطول حديثه طويلًا، لكن القلب معجز بالفصاحة.. وقد حانت الفرصة ليجلس معها، فلديه كلام كثير ليقوله لها يفوق لغة الجنس.

-٥-

«سيدتي أنا.. عندما يحين القدر لرؤية صاحبة العين الساحرة الجميلة ستنطفئ نار المجوس، وتُحطَّم أصنام العرب، وتُكسر معابد آمون، وتعلو راية العشق في الحرب المقدسة».

* * *

جاءت فرقص قلب «وحيد» وجسده في آن واحد، وذابا معًا وانتهيا، وانتهت معهما نشوتهما فشبعا.. يجلس «وحيد» و«لي لي» على السرير.. تنظر له وفي عينيها عتاب جميل:

- إياك أن تهيننني مثل المرة الماضية.

ففهم ما تقصده من كلامها وابتسم لها، وقال:

- أدركت حينها كم أنتِ تحبينني ولستِ..

«عاهرة»

- لا لستِ مادية.

نظرت له في ود وحب شعر بدفئهما من خلال عينيها الزرقاوين الجميلتين، فأمال رأسه إليها ليطبع على شفتيها قُبلة فأغمضت عينيها لتتذوق مذاقها..

مذاق جميل.. عاد ليقول لها:
- تأخرتِ في الرحيل.
- سأبقى معك.
- ولكن.
- أبوك بالتأكيد سيتأخر قليلًا.
- ولكنه سيأتي في أي لحظة.
- ثق بي يا حبيبي، والآن، في ماذا تريد أن نتحدث؟
- في أي موضوع تشائين.
- ما رأيك في الأساطير؟
- إنها ستبقى خرافات لا تصدَّق، ولكن يثيرني معرفتها.
- دعني أحكي لك قصة أول فتاة أحبها «آدم».
- حواء؟ ولكنها ليست أسطورة.
- لا، ليست حواء، إنها فتاة وهبها الخالق ل«آدم» فتزوجها، ولكنه كان متسلطًا عليها، فهربت منه، وأصبحت معشوقة للشيطان و..
قاطعها «وحيد» في استنكار:
- دعكِ من هذا كله، إنها أسطورة ساذجة لم يذكرها الله في القرآن.
- ولكن ما لا تعرفه أن هذه القصة موجودة في التراث اليهودي.
- هذا يؤكد يقيني بخرافتها عزيزتي «لي لي».
صمتت مبتسمة في ود.. عاد «وحيد» للسؤال:
- هل كانت هذه الفتاة بشرية؟
- في الحقيقة لا.
بعد فترة قصيرة من كلام دار بينهما.. غادرت «لي لي»، وقبل أن تغادر باب المنزل سألها:
- كيف عرفتِ عن الأساطير؟
- ألم أقل لك إنني أدرس الميثولوجيا.

وابتسمت مرة أخرى وغادرت المنزل.. وفور مغادرتها فتح «سعيد» باب المنزل وفور دخوله وجد «وحيد» أمامه.. خاف «وحيد» أن يكون أبوه قد رآها خارجة من المنزل، فصمت وهو يدعو الله.. وفور أن رأى ابتسامة أبيه له اختفى من داخله الخوف كاختفاء حبيبات الملح الذائبة في الماء وذوبانها.. تلك الابتسامة التي تبعتها جملة حانية شعر بها «وحيد»:

- لقد تأخرت قليلًا في عملي.

قضى «وحيد» ليلته تأملًا في «لي لي»، تلك الفاتنة التي سرقت لبَّه من بين جحوره وسافرت به إلى مملكتها.. آه يا «لي لي» متى سأراكِ مرة أخرى؟ فتح «وحيد» موقع التواصل الاجتماعي وأرسل لها وجه «قُبلة»، فردت عليه على الفور بالقبلة نفسها، فارتسمت على ملامح وجهه الوسيم ابتسامة نام على أثرها ليغوص في نوم هانئ سعيد.

«تبًا لقلبي».

«تبًا لقلبي».

«تبًا».

الشتاء بارد.. قاسٍ.. يتقلب «وحيد» على سريره يمينًا ويسارًا محاطًا بلحاف سريره، هذا اللحاف الذي أحاط الجسدين ببعض منذ ساعات، يشعر «وحيد» بشيء أقلقه، ولكنه تجاهل هذا الشعور.. إنه حلم بالتأكيد.. عاد هذا الشيء يقلقه فكأنما يوجد شخص في الغرفة جالس على سريره يتأمله.. شعور مقيت إن أردت رأيي.. تجاهل الشعور طويلًا، ولكنه عاد يقلقه بما فيه الكفاية، فقطع عنه خيط النعاس ففتح عينيه.. هناك ثوانٍ معدودة حتى تتعود عيناه وتركز في شبه ظلام الغرفة لتلقط شيئًا ما.. أخيرًا استطاع الرؤية، فإذا هي «لي لي» تجلس باسمة في حنان تتأمله.. عرف أنه حلم جميل فتعايش على هذا النحو.. جلس وقال لها:

- حبيبتي «لي لي» أنتِ هنا؟

ابتسمت له ولم ترد، فعاود الكلام مرة أخرى:

- كيف وصلتِ إلى هنا؟

لم ترد، بل أخذت تداوم على الصمت وعلى وجهها نفس النظرة الجميلة، والابتسامة الرقيقة.

- أنا في حلم الآن، وكُتب لي أن أراكِ ثانية.

أخيرًا ردت عليه جملة.. جملة واحدة كثيرًا ما قالتها له، ولكنه لم يشعر بمدى فاعليتها إلا الآن:

- اطمئن سنكون معًا للأبد.

ثم قامت نحو مكتبه وأخرجت وردة كانت قد أخفتها بين خِصلات شعرها الناعم ووضعتها فوق المكتب واختفت.. نظر لها «وحيد» طويلًا وعاد إلى النوم بعدها.

في الصباح استيقظ وهو سعيد، لا تسعه السعادة من هذا الحلم الجميل.. ألقى نظرة على المكتب الذي وضعت عليه الوردة في الحلم وإذا بالوردة موجودة!

ما هذا؟

تحولت سعادته إلى القلق قليلًا.. فهل للأحلام أن تمتد إلى الواقع؟

قام وأسرع إلى الوردة وأمسكها.. كانت وردة لونها أحمر دامٍ.. ماذا يعني هذا؟

يعني أن ما حدث له ليس حلمًا على الإطلاق.. ولكن.. كيف دخلت «لي لي» الشقة؟

كيف ومتى دخلت الشقة؟

كيف؟ سؤال أفزعه حقًا!

وضع الوردة التي كانت في يده على المكتب مرة أخرى، ثم خرج وهو لا يدري أي شيء عما حدث له أمس.

-٦-

حاول نسيان ما حدث، ولكنه كلما يعود بالتفكير إلى ما حدث الليلة يشعر بالفزع.. ولكن لماذا يفزع؟ دعك من أنه يعشق «لي لي»، ويتمنَّى أن يراها في غرفته كل يوم. ولكن ما أفزعه هو أن تلك الأمنية تحققت فعلًا.. فأن تتمنَّى حدوث شيء تراه مستحيلًا ويحدث، يصير شيئًا يدعو إلى الرعب.

كيف دخلت الشقة، ومن ثمَّ غرفتي، في هذا الظلام؟

كيف نزلت من منزلها في هذا الجو القاسي؟

لم يتردد في فتح موقع التواصل الاجتماعي ليعرف الحقيقة.. كيف وصلت الوردة التي وضعتها في حلمه -هكذا يخدع نفسه- أن تكون واقعًا؟

- «لي لي» لقد حدث شيء غريب لي أمس.

- ماذا حدث؟

أخذ يحكي لها عن حلمه، على أمل أن تريح أعصابه.. أو تقول له شيئًا.. ولكن مهما ستقول فهو لن يصدقها، بدليل أن هناك دليلًا على حقيقة ما حدث.. إنها الوردة.

بعد ما حكى لها.. ردت عليه بسرعتها المعتادة:

- شيء طبيعي.

- أريد تفسيرًا يا «لي لي»، إنني أكاد أجنُّ.
- سترى التفسير صدقني.
- «لي لي» أنتِ تخيفينني.
لم ترد عليه.. فزاد خوفه.
فقد أغلقت الموقع.
وأغلقت آخر جزء سليم في مخ «وحيد».
إنه يشعر بالخوف.
قام من مجلسه يتصارع مع خوفه وقلقه وأفكاره.
- سترى التفسير صدقني.
كيف أرى التفسير؟ سؤال دار داخل عقله كثيرًا.. سؤال حاول معرفة إجابته في عقله أيضًا.. فلم يجد له إجابة.. ما الحل إذن؟ الحل أن ينتظر التفسير.. ربما تمازحه حبيبته.. وربما لا.. ربما.
قام وقد قرر أن ينسى ما حدث بأكمله كأنه لم يكن.. وجاء أبوه، الذي بادره قائلًا:
- لقد تأخرت على الجامعة اليوم.
- نعم.. ولكنني سألحق محاضراتي.
قالها وهو يدخل غرفته ليرتدى ثيابه وينزل فيقابل أصدقاءه لعله يجد الإجابة.. الإجابة التي سحبت منه عقله كرخصة قيادة مسحوبة.. ما تفسير ما حدث؟
عندما عاد إلى منزله حاول فتح موقع التواصل الاجتماعي مرارًا وتكرارًا لعلها ترد عليه فأخذ يرسل لها.. جلس أمام الجهاز طويلًا يحملق في رسالته وهو يائس، ويقول في سرِّه هناك المئات من البنات.. بمعنى أصح وأوقع في نفسه «لن تهمني».. وعيناه على الرسالة لعلها ترد عليه.
- لا.. أنا أهمُّك.
تفاجأ عندما رأى هذا الرد السريع المعتاد على جملته التي قالها في نفسه،

ولكنه لم يفكر في هذا الأمر الآن، بل أسرع يكتب إليها:
- «لي لي» أنتِ هنا؟
- دائمًا معك كما قلت لك، والحقيقة أنني أهمُّك.
- ولكن.. كيف عرفتِ بما أفكر فيه؟
- توقعت أنك ستقول هذا يا «وحيد».
- «لي لي» أنا سأكاد أجنُّ: من أين أتيتِ بالوردة؟ وكيف دخلتِ منزلي؟
- هناك أشياء نعتبرها غير منطقية. ولكن إن انتبهنا لها سنراها قمة المنطق.
- كيف؟
- سأتركك تفكر يا حبيبي، والآن هذه آخر مرة أحدثك فيها هنا.
تعجب «وحيد» من ردودها التي يظهر عليها الغضب، أو الحدة، أو الجدية بعض الشيء.. أسرعت يداه ليكتب لها:
- أأنتِ غاضبة مني في شيء؟
- لا أبدًا.
كل ما شغل تفكيره وقتها هو كيف سيراها ويتحدث معها.. فلا يمكن أن تقطع علاقتها به إلى الأبد.. فعلاقته بها لن يقهرها الزمن.. نظر إلى المحادثة فوجدها قد ردت على ما قد فكر فيه.
- ستراني وسأراك أكثر مما تراني.
زاد اندهاشه من قراءتها لأفكاره فأرسل لها:
- «لي لي» كيف تعرفين ما أفكر فيه؟
- ردودك متوقعة يا عزيزي.
أغلقت معه الشات لآخر مرة كما قالت له.. وأغلق هو الآخر وهو يفكر بل يكاد تفكيره أن يمزِّق جمجمته أو يفصل رأسه عن جسده.. كيف ستراه وسيراها؟
رنَّ جرس المنزل فذهب «وحيد» ناحية الباب ليفتحه.. كان القادم «مازن»، الذي دخل ناظرًا إلى ديكور الشقة، قائلًا:

- والدك هنا؟
- نعم.
- يا للأسف كنت على وشك أن أتصل بفتاتين نقضي معهما الليلة.
- لا.. لا أريد.
- لِمَ يا صديقي؟
- أنا مرتبط.
- منذ متى؟
- دعك من منذ متى؟ المهم لا أريد ممارسة الجنس.

شعر «مازن» أن «وحيد» قد تغيَّر قليلًا.. جلس معه عشر دقائق ثم غادر المكان وعلى وجهه خيبة الأمل من زهد «وحيد» في النساء.. فمنذ متى؟ مَن التي غيَّرت تفكيره وحياته؟ أهي تلك الفتاة التي حكى عنها لنا من قبل؟

أما «وحيد» فكان في غاية السعادة؛ لأنه رفض اقتراح صديقه.. والسبب معروف بالطبع.. إنه يحب.. يحب فتاة تعاهد منذ أن رآها ألا يفكر في غيرها ولا ينام مع غيرها.. إنها الفتاة التي خطفت عقله بفتنتها ودلالها وجديتها. إنها «لي لي».

-٧-

اختفت «لي لي» لأيام طويلة.. لا يعلم عنها أي شيء.. أخذت تأتي له في أحلامه كثيرًا، لكن من دون أن تترك أي شيء فيعتبره حلمًا.. اختفت طويلًا فلا شيء يجعله يصبر إلا رؤيتها في أحلامه.

- ستراني وسأراك أكثر مما تراني.

أين هي الآن؟ هل كذبت عليَّ عندما قالت لي هذه الجملة؟ هل كانت هذه الجملة من باب جبر الخواطر؟

ولماذا تجبر بخاطري ما دام بيدها أن تنهي ما بيننا؟!

مرت الأيام إلى أن أتى اليوم الذي شعر بحركة في غرفته.. نظر حوله بينما هو يغمض عينيه مستعدًا للنوم.. كانت حركة طفيفة.. تحرك قليلًا وجلس ولم يجد أي شيء، فاعتدل في نومته حتى ذهب في نوم عميق.

كان «سعيد» نائمًا في الغرفة المجاورة لغرفة «وحيد»، وكان مستغرقًا في النوم.. ولكنه سمع صوتًا ما تخلل الغرفة، فقام مفزوعًا على ذلك الصوت.. فقام متسائلًا عن هذا الصوت؟ أسرع ليكتشف مصدر الصوت.. إنه كخدش على جدار، أو على باب.. الخدش يزداد كلما اقتربت خطواته من غرفة «وحيد».. تأكد من هذا عندما وقف أمام الباب.. والخدش مستمر كأن هناك شخصًا

ما يخدش باب الغرفة.. أحسَّ بالقلق على ابنه.. حاول فتح باب الغرفة فوجد الباب مغلقًا.. فتذكَّر أن ابنه يغلق الباب عليه وهو نائم.. ما الحل إذن؟ الخدش مستمر.. إنه يخشى أن يكون ابنه في خطر.. ولكن من أين يأتي الخطر في غرفته؟ هدأ الخدش، وعادت الأمور إلى طبيعتها، فعاد «سعيد» إلى النوم مرة أخرى.. وفي الصباح دخل عليه «وحيد»، فحكى له «سعيد» عن كل ما حدث ليلة أمس.. فأنكر «وحيد» فكرة أنه من يخدش الباب، على الرغم من أن هناك آثار خدش عميقة تشبهه، ومرت الأيام وأصبح «وحيد» يحلم بـ«لي لي» كثيرًا.. وفي كل حلم تلبس الأحمر وتبتسم له ابتسامة بدأت تخلو من الود والحب.

- ستبقى معي للأبد.

- ستبقى معي للأبد.

ثم تختفي.. وفي كل حلم لا بد أن تجلس بجانبه على السرير.. هيئتها غريبة.. ولكنها هي «لي لي»، الأنثى التي عشقها.

أصبحت تأتي له كل يوم تقريبًا في أحلامه.. إلى أن أتت له كشريط فيديو لحوار دار بينهما، بينما كانت تحكي له عن الأساطير.. رآها في الحلم بنفس الهيئة الغريبة، حيث الشعر الأحمر كدم الغزال، والبياض، والرداء الأحمر، وأحمر الشفاه، وطلاء الأظافر الأحمر، والحلم جاء كتكملة لما قد دار بينهما مع اختلاف بسيط وهو هيئتها.. «لي لي» تجلس وتنظر له قائلة:

- تلك الجنِّية نامت مع الشيطان وأنجبا فكانت تنجب له ١٠٠ طفل كل يوم فغضب عليها الرب.. وأرسل الرب لـ«آدم» زوجته البشرية وأنجبا أطفالًا.. الموضوع لم ينتهِ بعد، فقد اشتكى «آدم» لربه لما فعلته تلك الجنِّية، فأرسل الرب ملائكته ليرجعوها إلى «آدم» ولكنها رفضت.. وكانت النتيجة أنهم هددوها بقتل أولادها، ومنذ ذلك اليوم تعهدت تلك الشيطانة أن تقتل كل أبناء البشر.

- هي شيطانة إذن.

- زوجة الشيطان.
- انتهت القصة يا «لي لي»؟
- لا، بل بدأت.
استيقظ من حلمه، وهو لا يعلم كيف بدأت القصة، ولماذا هذا الحلم بالذات؟ قام وعلى وجهه علامات الاكتئاب.. ما الذي يحدث له؟ لماذا يرى «لي لي» في الحلم كل يوم؟ ماذا يعني هذا؟ الأحلام لوحدها لا تكفي لتطفئ نار شوقه.. كلما فتح موقع التواصل ودخل على ملفها يجد الصفحة مغلقة.. تلك الصفحة التي تظهر لك لتقول إن المستخدم غير صحيح.
لا يدري أيحزن أم يفرح لرؤيتها في منامه؟ فهو يراها دائمًا تقول له تلك الجملة المعتادة:
- ستبقى معي للأبد.
سبب حزنه واكتئابه هو أنه يريد أن يراها على الحقيقة، لا في أحلامه.. يريد أن يلمسها.. أن يشعر بأنفاسها تلامس فمه قبل قُبلة حارة.. تمنَّى أن يراها، تمنَّى أشياء كثيرة تدور بينهما.. تمناها.. تمنَّى أن يبقى معها للأبد فعلًا.
قاطع أفكاره والده وهو يدخل عليه غرفته:
- صباح الخير يا «وحيد».
- صباح النور يا أبي.
- ألم يزعجك أي خدش في غرفتك أمس؟ إنه بالتأكيد نفس الفأر الذي كان يخدش غرفتك منذ أيام.
- مرة أخرى؟ أعتقد أنه لا يوجد في غرفتي أي فئران.
- ولكن ما الذي كان يخدش بابك؟
حقًا إنه لا يعلم.. فالحدث قد تكرر للمرة الثانية.. فاق قلق «وحيد» على قلق «سعيد» بشأن الباب، ولكن تمر الأيام.. تمر الأيام التي يرى فيها «لي لي» في الحلم.. يراها كما هي بشكلها الغريب، ففي واقع الأمر فإن شكلها يخيفه بشعرها الأحمر، وبشرتها البيضاء، وردائها الأحمر، وشفتيها الحمراوين.. هذه

الأيام تمر وهو على أمل ويقين أن يراها في الحقيقة.. فالأمل لن ينتهي إلا بإرادتنا.

-٨-

ذهب «وحيد» في ذلك اليوم للنوم مبكرًا.. حتى يستطيع الذهاب إلى الجامعة.. نعم قرر أن يذهب.. ليس بإرادته بل قهرًا.. فالاختبارات تبدأ غدًا، وعليه أن ينام ويقضي نومه في أحلام مع «لي لي» التي ما زالت تأتي إليه.. فنام وذهب في سبات عميق.. شعر أثناءه بشيء يزعجه.. هل سيراها مرة أخرى وتضع الوردة على مكتبه؟ سمع شيئًا تخلل نومه.. أنصت إلى الصوت وهو شبه واعٍ.. كان صوتها يشبه خدش فأر على باب غرفة! نعم فإن نظرية الأب وما قاله صحيحة.. إنه فأر ولا شيء أكثر من هذا، ولكن على الرغم من هذا فقد شعر بالذعر، فمجرد تفكيرك أن هناك فأرًا في غرفتك يسبب الذعر بالتأكيد. قام ليجلس على سريره في ذعر ليلقى نظرة على الفأر الذي يخدش في الباب.. ولكن ما رآه يفوق الذعر بمراحل.. فالذي كان يخدش الباب «لي لي».

كان يراها جالسة على الأرض.. شكلها مخيف ومرعب.. عيناها ها سواد كسواد الكحل عند اختلاطه بالدموع.. تخدش الباب في جنون، وهي تتمتم بكلمات بصوت لم يسمعه ولم يتبيَّنه.. تشعر به فتنظر له وتكشِّر عن أنيابها فيرى أنيابها الطويلة ثم تختفي.. تبًا.. إنها ليست تلك الرقيقة التي عرفها.

لا يدري كيف نام بعد ما رآه وكيف استيقظ.. هل حدث هذا فعلًا.. أم كان

حلمًا؟ بالتأكيد إنه في كابوس مقيت.. لأن هذا لا يمكن أن يحدث فعلًا.. وإلا فإنه مجنون. قرر أن ينسى ما رآه، ولكن كيف ينسى، وهناك آثار خدش على الباب فعلًا؟! إذن هو الآن أمام الحقيقة، وهي أن «لي لي» هي من كانت تخدش الباب.. ولكنها حقيقة يأبى أن يصدقها العقل.

أخفى هذا الموضوع عن أبيه.. فبالتأكيد لن يصدقه.. لن يصدق فيلم الرعب هذا، أصبح «وحيد» كلما دخل غرفته لينام يقوم بتشغيل القرآن.. هل غرفته مسكونة؟ هل من تسكنها تلك المخلوقة التي رآها، التي تشبه «لي لي»؟ ربما تكون «لي لي» نفسها!

يقف «وحيد» مواجهًا لتلك الفتاة الرقيقة التي أحبها.. نعم إنها «لي لي» بشكلها الرقيق تبتسم له في رومانسية.. تقوم بحضنهِ.. تقول له:

- ماذا عن البنات اللاتي نمت معهن؟

- لن أحب سواكِ.

تسمع منه آخر جملة قالها.. وتنظر له بوجه خالٍ من التعبير، خالٍ من الحياة ثم تختفي.

هذه المرة يفيق من نومه فيتأكد أنه حلم.. لا يدري لماذا هذا الحلم؟ والأهم هو لماذا لم تفرح أو تغضب لإجابته؟ قام من على السرير، ولكنه لاحظ أن ليس هناك أي صوت لأي تلاوة قرآن ولا أي شيء.. ذهب ناحية الكاسيت القديم.. فوجد الكهرباء مفصولة عنه كالرأس المقطوع إربًا إربًا.. كيف هذا؟ أعاد توصيل الكهرباء لتلاوة القرآن فوجد الشريط خاليًا.. أخرج الشريط ووضعه مرة أخرى.. ولكن لا شيء! ما هذا؟ أهذا من أفعال تلك المخلوقة الشبيهة لـ«لي لي» أو «لي لي» نفسها؟ ترى من هي «لي لي»؟ بدأ يشك في أمرها، بل إنه تيقن من شكه في أمرها، أخذ الشريط ووضعه جانبًا، ثم أخرج من درج الشرائط بغرفته شرائط قرآنية أخرى كانت موجودة عنده منذ عدة سنين.. ولكن لا فائدة.. ظن أن الكاسيت نفسه فيه مشكلة.. قام بفتح الكمبيوتر وقام بتشغيل أي سورة، ولكن ما يسمعه هو الفراغ بعينه..

اللعنة.. إنها اللعنة بعينها.

لا يدري كيف نام، ومتى نام، ولكن كل ما رآه كان يتمحور حول مطعم شكله مألوف من داخله.. إنه «جنة آدم».. كان يجلس بداخله لوحده ولا يوجد زبائن ولا يوجد أي شخص.. تقبل من بعيد «لي لي» بزيها الأحمر، وبياضها الناصع، وشفتيها الحمراوين، وشعرها الأحمر.. تقبل عليه وتبتسم له.. فيرى أسنانها البيضاء لأول مرة.. يرى أنيابها كذلك.. تقترب منه.. تقترب أكثر.. فيرى في هذه المرة قزحية عينيها الحمراوين.. نفس البسمة على وجهها.. تقترب منه إلى أن تقترب من رأسه فيشعر بأنفاسها الملتهبة الساخنة.. تقول له كأنها تقول سرًا لا تريد أن يسمعه أحد:

- هانت يا «آدم».

يفيق من حلمه، فيجد نفسه نائمًا على سريره.. يسرع ليجلس على السرير؛ خوفًا من أن تكون تلك الشريرة التي ليست بالتأكيد «لي لي» جالسة تخدش في الباب على الرغم من أنه لم يسمع شيئًا.. جلس ولكن لا شيء هناك سوى صوت القرآن الذي يتلى.

أصبحت أيامه نومًا.. وفي النوم اختفت «لي لي» الرقيقة للأبد وحلَّت محلها تلك البيضاء الحمراء.. تأتي له بأنيابها.. تبتسم له أحيانًا تمر بصمت بعد ابتسامة قاسية.. وأحيانًا أخرى تأتي له وتقول:

- أنت لي يا «آدم».

يستيقظ مذعورًا.. فهو ليس «آدم».. ولا هذه «لي لي».. تأتي له كثيرًا في أحلام، ما أثر على اختباراته فلم يحل أي شيء.. ففي لجنة الامتحان أصبح عقله مشغولًا بالتفكير والذعر كليهما.. فعندما يفكر يشعر بالذعر.. وعندما يشعر بالذعر يتوه تفكيره وسط الأشخاص حوله.. تبًا.. مَن هذه المخلوقة التي تطارده؟

أصبح هكذا يخشى النوم حتى لا يلقاها.. فكم كان يتمنَّى أن يرى «لي لي» التي مات بين ثنايا جسدها يومًا ما.. لا تلك الأنثى الغريبة التي يراها كـ«لي

لي». جاءت له في ذلك اليوم بنفس هيئتها التي اعتاد عليها، تجلس على السرير بجانبه وهو كذلك.. تلعب في شعره وتقول له:

- أتعلم يا «وحيد» لماذا ينبغي أن نؤمن بالأساطير؟

نظر لها منتظرًا الإجابة التي جاءت من دون تفكير:

- لأن الأساطير تكمن فينا.

- كيف؟

- قد تكون الأسطورة حقيقة، فالحقائق التي لا يصدقها بنو جنسك يضعونها تحت أرفف الأساطير.

- بنو جنسي؟ من هي إذن؟ كذلك تساءل «وحيد».. السؤال الذي جعلها ترد عليه على الرغم من أنه لم ينطق بحرف:

- أنا اللعنة، والملعونة منذ أن طردني رب «آدم» من جنته.

كاد أن يُكذِّب عينيه.. يكذِّب سمعه.. هل من الممكن أن تكون هي نفسها الفتاة التي حدثته عنها يومًا؟ غير معقول، إنه في الأول والآخر حلم، بل كابوس، وحتمًا سيفيق منه.. قطعت «لي لي» تفكيره، وقالت بابتسامة خبيثة تظهر فيها أنيابها:

- أنا «ليليث».

-٩-

«ليليث»؟ من تكون «ليليث»؟ طبعًا لم يفكر في هذا السؤال في حضورها وإلا كانت ردت عليه، ولكنها اختفت بسرعة وفاق أخيرًا ليجد نفسه على السرير يتساءل: من «ليليث»؟ ما هذا؟ شعر بأن شعره كان قد عبث به شخص ما.. شعور غريب لم يفهمه.. تعجب.. وقام يتساءل في رعب: من تكون «ليليث»؟ تذكر ما قالته قبل أن تقول إنها «ليليث»، وهنا كانت الإجابة.. إجابة على الرغم من سخافتها، فإنها إجابة تقذف الرعب في القلوب عندما تُقال.

- أنا اللعنة، والملعونة منذ أن طردني رب «آدم» من جنته.

كانت الإجابة هي أنها هي تلك الشيطانة التي كانت تحكي له عنها. «لي لي» شيطانة؟! أفكار ساذجة لن يصدقها عقله، أو قد تكون هي شيطانة حقًا، ولكن عقله يأبى الشعور بالذعر والخوف!

كانت تلك الإجابة نابعة من عقله الذي كان في الوقت نفسه يرفضها.. فكيف تكون «لي لي» جنيَّة أو شيطانة ينام معها؟ ويضاجعها مثل البشر؟ كيف؟ نظر إلى نافذة غرفته فرأى المطر ينهمر في الخارج.. ورأى وجهًا يحدِّق فيه من خلف النافذة.. إنه وجهها.. وجه الشيطانة.. أغمض عينيه وفتحهما لعله يحلم.. ولكن لا ليس حلمًا.. التفت هربًا من هذا الوجه فرأى ما لا يتوقع

أن يراه.. إنها «لي لي» بنفس الهيئة التي تأتي له عليها في الأحلام.. «لي لي» أو «ليليث» الحمراء.

تقف ناظرة إليه وهو يبتعد من الخوف.. قالت له بهدوء شديد:

- ألم أقل لك إنني معك دائمًا؟

عجز لسانه عن النطق.. أما هي فاستمرت في الكلام بنفس الهدوء:

- أحلامك ليست أحلامًا.. بل حقيقة.

تساءل في نفسه: كيف.. كيف؟

- لم تفارقني ولم أفارقك.. كل يوم آتي إليك وأجلس معك ثم أغادر.

- من أنتِ؟

- قلت لك من قبل أنا «ليليث».. دعني أعرِّفك بنفسي بشكل مبسط.

تقول «ليليث» جملتها التالية وهي تتغير.. يبدأ وجهها في التشقق والتجمد.. تبدأ قرونها في البروز.. عيناها الجميلتان تتخذان شكلًا قبيحًا، بل أقبح من القباحة.. يداها تبرز منهما المخالب.. ويتغير جسدها الجميل فيتحول إلى جسد كلب يقف على قدميه.. ويتشقق ظهرها لينمو لها جناحان كأجنحة التنانين في الأفلام الأسطورية.

«ليليث».. شيطانة العواصف.

يشتد صوت العاصفة بالخارج.. تنظر له وهو يكاد يُغمى عليه من هول وبشاعة تلك المخلوقة التي يراها.. إنها ليست «لي لي» التي أحبها.. تنظر إلى عينيه وتقول كلامًا غريبًا:

- (أنا المتمردة).

ما هذا؟ إنه لم يفهم أي شيء.. تستمر في التحديق بعينيها البشعتين.. وتستمرُّ في قول تلك الجملة بصوتها الأجش البعيد كل البعد عن صوت «لي لي».. قالتها ثم اختفت واختفت معها العاصفة.

اختفت وهو يحاول إيقاظ نفسه من هذا الكابوس، إنه الواقع المخيف! لم يحتمل آدمي مثله الصدمة فأُغمي عليه.

في الصباح قلق أبوه عليه، فحاول فتح الباب، ولكن الباب مغلق، نادى عليه ولا إجابة، قام بكسر الباب ووجد ابنه مرميًا على الأرض.. أسرع إليه فزعًا.

- ما الذي حلَّ بك؟

بعد مدة أفاق «وحيد» ونظر إلى أبيه نظرة خالية من الحياة.. لا تحمل أي شيء.. أي شيء على الإطلاق.

أخيرًا بعد ما عاد «وحيد» إلى وعيه بالكامل نظر له أبوه نظرة أب حانية، قائلًا:

- ماذا حدث يا «وحيد»؟

- إنها هنا يا أبي.

- من هي؟

- الشيطانة.

ظن «سعيد» أن ابنه مصاب بحمَّى جعلته يقول التخاريف.. وما أدراك ما التخاريف.

- اطمئن يا بنيَّ أنا هنا معك.

- إنها معي دائمًا.. الشر يتجسد فيها.

- من هي يا «وحيد»؟

- إنها «ليليث».

- أنت تحتاج إلى الراحة يا بنيَّ.

- يا أبي صدِّقني إنها معي.

- ستحتاج إلى الراحة قليلًا.. نم يا بنيَّ الآن وسأجلب لك الطبيب.

قام «سعيد» تاركًا «وحيد» على سريره.. نظر «وحيد» إلى النافذة فوجد النهار ما زال يرمي أضواءه على الكون.. اطمأن قليلًا فهي بالتأكيد لن تأتي له في النهار.. إنها شيطانة العواصف والليل.. تبًا لها.. إنها ليست «لي لي».. لا بالطبع إنها هي، فـ«لي لي» و«ليليث» هما نفس الاسم تقريبًا، ولكنه محرَّف قليلًا إن دققت النظر بين الكلمتين. قام وجلس على الكمبيوتر وفتح موقع

التواصل ليدخل على عضوية «لي لي كيتي» ولكن، لا يوجد أي شيء كالعادة، كأنها حذفت ملفها أو قامت بحظره.. عاد إلى سريره ليأخذ حصة النوم والراحة قبل أن تأتي له في كوابيسه الواقعية كما قالت له.

قام بفتح عينيه فوجد أباه جالسًا وأمامه الطبيب.. وما إن رآه «سعيد» حتى ابتسم قائلًا:

- استرح فإن الطبيب جاء.

نظر «وحيد» إلى الطبيب.. وفي عينيه كلام كثير.. كلام حول أنه ليس مرهقًا ولا مصابًا بالحمَّى ولا بالخرافة، وأن الشيطانة حقيقة.. قام الطبيب بجس نبض وحيد بالسمَّاعة.. ثم قام بلمس جبينه.. والتفت إلى «سعيد» قائلًا:

- إنه يحتاج للراحة الذهنية والعقلية، فهو يشعر بالتأكيد بإرهاق عقلي، فليس لديه أي أعراض جسمانية.

بعدها غادر الطبيب.. وجلس «سعيد» أمام ابنه «وحيد» متعجبًا من حال ابنه:

- الآن نم يا بنيَّ وأرح عقلك.

- يا أبي إنني لا أستطيع أن أريح عقلي.. فعقلي خائف جدًّا.. سكنه الذعر، بل وحبسه في تابوت الكونت «دراكولا» نفسه.. لم يقل هذا، بل فكَّر فيه، إلا أنه وجد نفسه يقول له:

- حسنًا.

قام «سعيد» وأطفأ نور الغرفة.. وغادر.. إن الشمس توشك على الرحيل.. تبًا لها.. ماذا فعلت لتحل عليَّ لعنة هذه الملعونة؟ نام نومًا متقطعًا، عطش، فقام من فوق السرير، وذهب نحو الباب ليغادر الغرفة، ولكن الباب مغلق.. مغلق من الداخل، ذهب إلى زر الكهرباء ليشغِّل نور الغرفة.. ولكن الكهرباء تأبى أن تطيعه.. هل يعني هذا أنه محبوس؟ نظر خلفه فوجد شبحًا لسيدة تنظر له من آخر الجهة المقابلة للباب.. تنظر له.. عيناها مخيفتان جدًّا.. لا داعي للتخمين فإنها هي.. ماذا تريد؟ أجابت عن أفكاره:

- أريد روحك يا «آدم».
أنا لست «آدم».. أنا «وحيد»! ما هذه الشيطانة المخبولة؟
- أريد روحك وتعذيبك، كما قمت بتعذيب «آدم» من قبل.. وأمرته بالأكل من الشجرة المحرَّمة.. أريد الانتقام بقتلكم.
- أنتِ مجرد أسطورة.. أكذوبة.
- سترى.

-١٠-

لم يهتم بكلمة «سترى» التي قالتها.. بل كان كل اهتمامه في شكلها المفزع الذي ظهر أمامه فجأة وجعل قلبه يكاد يقفز هربًا من هول المنظر.. هل للشياطين هذه الطلّة المفزعة؟ عرف هاهنا حكمة أن الله جعلنا لا نرى الشياطين.. ولكنه حالة شاذة عن جميع البشر، فها هو يراها وليته ما رآها.

كانت تنظر له هذه النظرة.. يا ترى ماذا سيرى؟ يراها وهي تتحول إلى الفتاة الجميلة التي عرفها.. إنها «لي لي».. تقبل نحوه وتبتسم ابتسامة جعلته ينسى ما حدث من ثوانٍ معدودة.

- لا تخف يا حبيبي، ما لك خائف هكذا؟

لا يصدِّق عينيه.. إنها «لي لي» عشيقته وحبيبة روحه.. شعر بيديها الناعمتين وهما تحسسان فوق شعره.. ثم بقُبلة منها على فمه.. شعر من خلالها أنها كحلوى لا تُقاوم.. فلم يقاومها.. غلبته شهوته وغاصا في وحل الجنس.. ولم يشعر بشيء بعدها.

لا يعرف كيف نام بعدها.. المهم أنه استيقظ.. نظر حوله فلم يجدها.. جاءت في خاطره أفكار كثيرة.. أمعقول أنه نام مع الشيطانة؟ وكيف استسلم لها؟ ولماذا حدث منها هذا؟ هل طبيعة الشياطين إغواء البشر؟ إنها تقول إنها

تلك الشيطانة التي أغوت «آدم» وأمرته بالأكل من الشجرة المحرَّمة.. قام وهو ينظر إلى النافذة فوجد الشمس مشرقة.. نظر إلى ساعته فوجد الساعة الواحدة ظهرًا.. ما هذا التأخير؟ أمعقول أنه نام كل هذه المدة؟ إنه كان يظن أنه نام ساعة، أو بضع ساعات.

فتح الباب ليغادر.. بحث عن والده.. فلم يجده في غرفته.. قال في سره إنه بالتأكيد نزل للقيام بأعماله.. شعر بالجوع فدخل المطبخ وفتح الثلاجة.. وما رآه جعله يصرخ فزعًا، فالذي رآه هو أشلاء والده.. أشلاء آدمية موضوعة في الثلاجة بانتظام.. رأسه على رف من أرفف الثلاجة، موضوع، وعلى ملامحه تعبير الخوف والرعب في آن واحد: أبي؟ إنه أبي، كيف هذا؟ اسودَّت الدنيا في عينيه، فتمنَّى لو أنه قد فارق الحياة.

كان «سعيد» جالسًا في غرفته فتدخل عليه.. إنها هي.. «ليليث» الشيطانة.. تظهر على «سعيد» علامات الخوف مما رآه.. إنها بشكلها البشع.. فتقترب، وكلما اقتربت تتحول إلى تلك الفتاة الجميلة الفاتنة.. إنها «لي لي».. تقترب منه وتضع يدها على رأسه وتمسك شعره بلطف، ثم تشد شعره للوراء وتخرج سكينًا وتذبحه وتركله برجليها فيقع غارقًا في دمائه، ينازع روحه بعنف محاولًا الحفاظ عليها قبل أن تسري إلى حيث لا يعلم، ففشل وفاضت روحه.. تجلس وتقطع رأسه، ثم تقطع جسده، وتأكل في لحمه بأنيابها.. إنها تلك الجميلة القاتلة الشيطانة.

يفيق «وحيد» من هول ما رآه.. أهذا الذي حدث بالفعل؟ ما ذنب أبيه إذن؟ المطبخ يغرق في ظلام الليل، فالوقت قد مرَّ.. ولكن هناك من يقف ينتظره.. إنها «ليليث» تقف تجز على أنيابها.. «ليليث» بشكلها البشع بقرونها وجسدها الغريب.. بملامحها التي لا يتحملها أي بشري على الإطلاق، وهي تقول له:

- تأكدت يا حبيبي أنني حقيقة ولست أكذوبة.

نظر لها وهو لا تفارقه صورة أشلاء أبيه.. المذبوح المقطَّع.

- أنا اللعنة.. أنا قاتلة أبيك.. عرفت الآن؟
- أعرف الآن؟ ماذا أعرف أيتها الملعونة؟ لماذا أبي؟ افعلي بي ما شئتِ، ولكن لماذا أبي؟
- إنه سيعكر صفوي معك يا «آدم».
- هيا.
- سأقتلك ولكن ليس الآن، فأنت لا تعرف كم أنا أتلذذ بتعذيبك.
- هيا اقتليني.
هبَّت فيه كالعاصفة.
- قلت لك ليس الآن.. (سأقتلك عندما أريد هذا).
ما هذه اللغة؟ تبًا لكِ أيتها الملعونة.. لم يرد «وحيد»، فقد أصابه شلل مؤقت مما حدث.. إنه في كابوس لن يفيق منه.. كابوس سيفيق منه مقتولًا بالتأكيد.
ما هذا الذي يحدث؟ اختفت من أمامه، فبحث في شرود ذهن حوله.. إنها تأتي وتختفي من دون أي سابق إنذار! نظر إلى الثلاجة المفتوحة أمامه ليفيق من صدمة طويلة كان ينتظر نهايتها. أفاق وأطلق صرخة، ولكنه ليس الوحيد الذي كان يصرخ وقتها، فخالط صراخه صراخ تلك الملعونة.. صراخ لم يتحمل سماعه فذهب إلى حيث ذهب.. لا يبدو أنه قد مات، ولكنه تمنَّى لو يموت ليلحق بأبيه ضحية لعنته هو.
- سأقتلك ولكن ليس الآن، فأنت لا تعرف كم أنا أتلذذ بتعذيبك.
أي عذاب هذا؟ تعذبينني في أبي؟
أين هي؟ أين ذهبت؟ لا يهم.. فأنا الآن قريب من الموت.

-١١-

العاصفة شديدة بالخارج..

«وحيد» في عالم آخر غير الواقع.

«سعيد» مقطَّع في الثلاجة.

انعكاس «ليليث» يظهر على النافذة.. تظهر صورتها مختلطة بضوء البرق.

البرق والرعد في الخارج كما في أفلام الرعب.

تنظر «ليليث» إلى «وحيد»، ثم تنظر إلى النافذة التي انفتحت بمجرد أن نظرت لها.. ترفرف بجناحيها وتطير لتخرج من غرفته وتتركها.

يرى «ليليث» الشيطانة تقبل نحوه فتذبحه مثلما ذبحت أباه.. تلتهم شفتيه.. تتركه والدماء تغمر الفراغ حوله.. تتركه يرفس وينازع روحه إلى أن تصعد.. ما هذه الوساوس والخيالات المريضة؟ قام بفتح عينيه تدريجيًا.. إنه لم يمت بعد!

الصورة أمامه غير واضحة.. أتمنَّى أن يكون ما أنا فيه كابوس وأستيقظ لأجد أبي جالسًا يشاهد التليفزيون.. لا لقد تدمرت أمنياته بالواقع، فإنه كما هو في المطبخ.. جلس فكان ما وقعت عليه عيناه هو منظر جسد أبيه المقطَّع البشع إلى حد التقزز.. أغمض عينيه في فزع حتى لا يعاود رؤية ما يراه.

أغمض عينيه فرأى «لي لي» وهي تقطِّع رأس «سعيد» وترميه عليه، ففتح عينيه فزعًا.. ونظر إلى الثلاجة فرأى رأس أبيه موضوعًا كما هو.. نزلت دموعه وأجهش في البكاء.

البكاء كثيرًا ما يكون الطريق الخاطئ، الطريق المؤدي إلى النهاية البائسة. أخذ يبكي إلى أن تيقن من أن نهايته البائسة اقتربت.. اقتربت جدًّا.. قام والدموع على خديه وهو ينوي أن يذهب إلى اللاشيء.. فلا يوجد شيء يفعله سوى أن ينتظر من تلك الشيطانة نهايته.. فالشياطين مهمتها قتل البائسين، لا شيء آخر.

قام وهو لا يدري لماذا؟ لماذا اختارته الشيطانة «ليليث» ليكون ضحيتها؟ لماذا هو بالذات؟! إنه لا يدري أي ذنب أذنبه.. فالمعروف أن الشياطين تؤذي من آذاها، ولكنه لا يذكر على الإطلاق أنه تسبب في أذى لأي شيطان!

نظر حوله.. ضوء القمر يضيء المطبخ.. وضوء الثلاجة الملعونة التي تحمل أشلاء والده كذلك.. ذهب نحو نافذة المطبخ المفتوحة فشعر بالبرد والهواء البارد.. وللحظة هبَّت عاصفة لم يتحملها فرجع إلى الوراء واصطدم في شيء، التفت ليعرف كنه هذا الشيء فوجده «لي لي»، تلك الجميلة الرقيقة، تمسك شيئًا في يدها.. إنه رأس والده.. تمسكه بينما تبتسم لـ«وحيد»، ثم ترمي الرأس بعيدًا.. ينظر «وحيد» في دهشة ممزوجة بالرعب.. تفتح فمها فتبرز أنيابها القاسية، ويتغير معها شكلها الجميل، ليتخذ الشكل المفزع.. يمقت حينها السلبية، فيتخذ الطريق الإيجابي في الجري خارجًا هربًا منها.

يجري ولا يعلم أين سيتجه.. إنه في حلقة مفرغة.. الشيطانة خلفه.. بالتأكيد خلفه.. لا.. إنها أمامه فقد اصطدم بشيء ما، بينما هو ينظر خلفه كثيرًا أثناء الجري.. نظر إلى كُنه الشيء الذي اصطدم به فإذا هو أبوه ينظر له مذبوحًا والدم يتدفق من رقبته كنافورة مياه، يمسك «سعيد» يده مستنجدًّا به، ولكن يظهر الفزع في عيني «وحيد» عندما رآها في نفس موضع «أبيه» ماسكة يده بيدها البشعة وتدفعه إلى الأمام، وتنظر له وملامحها البشعة

تحطّم قلبه من الخوف.. تنظر له.. وتقول بتلك اللغة التي لم يفهمها بعد:
- (أنت ملعون).
تقول تلك الجملة وهو لا يدري ولا يدرك شيئًا واحدًا مما يحدث له.. لا يدرك لِمَ هو بالذات؟
ينظر إلى يديه فيرى الدماء تسيل على يديه.. وعلى رقبته.. ينظر إلى رقبته فيرى سيلًا من الدماء يندفع منها.. هل ذبحته؟ لم يشعر بألم ولا بوجع.. تحسس رقبته فوجد أن رقبته سليمة ليست مقطوعة.. إذن فهو ليس مذبوحًا كما توقع.. ولكن منظر الدماء كان بشعًا لدرجة القفز فزعًا.. نظر إلى تلك المخلوقة الدميمة البشعة، وقال لها بطريقة لا إرادية:
- اللعنة عليك.
ازدادت عيناها شررًا.
- عليَّ وعليك يا عزيزي.
قالتها وهي تنوي الشر، أو تنوي ما تقوله فعلًا. لم يدرِ ماذا ينبغي عليه فعله.. إنها حقًا اللعنة التي اجتاحتهما معًا.. واجتاحت أباه أيضًا بلا أي ذنب أو جريرة. لم تنطق بكلمة بعدها ولا هو.. ولا داعي أن ينطق، فقد وجد نفسه داخل دوائر سوداء تدور حوله لا يعلم من أين أتت، ولكنها أتت واختفت أيضًا.. ثم وجد نفسه واقفًا أمام شيء، ركَّز فيه فوجده محرابًا غريب الشكل.. فوق المحراب كُتب كلام بلغة غريبة عرفها من شكلها، ولكن لم يعرف معنى كلماتها.. العبرية.. كانت حوله أعمدة كثيرة.. جاء في خاطره فورًا أنه في معبد يهودي.. تساءل: لماذا جاء إلى هذا المكان؟ سمع صوتًا من مكان ما حوله.. صوت شخص يتحدث بلغة غريبة كاللغة التي تنطق بها «ليليث».. فاستنتج في الحال أن «ليليث» كانت تتحدث معه بالعبرية، وهذا الصوت الأنثوي أيضًا ينطق بالعبرية.. صوت أقرب إلى الهمس ولكنه سمعه.
أحضري بحق يهوه.. أحضري بحق يهوه.. أحضري بحق يهوه).
لم يعرف من أين أتى هذا الصوت.. بحث حوله فلم يجد أي شخص.. استكشف

المعبد حوله فهنا أعمدة.. وهناك فوق المحراب رسم نجمة داوود.. وتحتها كلام باللغة العبرية.. انقطعت الكهرباء فأصبح لا يرى سوى الشموع التي كانت تحفُّ المعبد بأضوائها البسيطة الذي يكاد لا يرى ما حولها.. هناك تقف.. نظر لها فإذا هي «ليليث» واقفة في نشوة تهم بفعل شيء فيه.. أحسَّ بأن هناك شخصًا لا يراه يدفعه دفعة قوية ليقع في مكان ما بعيدًا، كان الألم قاسيًا حينها.. ورؤية هيئتها أقسى بمراحل. نظر إليها في ألم.. كانت في نفس المكان.. تنظر له شزرًا يشع من عينيها الشرر.. لاحظ اختفاء الصوت الذي كان يسمعه فور انقطاع الضوء.. هل هذه الكلمات هي تعويذة شيطانية؟ كانت تحمل في يديها شيئًا ما.. لا ليس رأس والده.. بل شيء حجري.. هل سترميه به؟ لا يعتقد.. إذن ما هذا؟ إنه عاجز عن الكلام والاندهاش معًا.. نظر إليها والرعب يسيطر على حواسِّه.. على كل خلية من خلايا جسده.. رمت هذا الشيء بعيدًا نحوه منطلقًا بسرعة رهيبة ووقع على الأرض وتكسر خلفه، فقام واقفًا ينظر لها لعله يفهم أي شيء.. «وحيد» عاجز عن الفهم؟ فَهم كيف جاء هنا؟ وما هذا الصوت الذي سمعه؟ وما هذا الشيء الصخري؟ انتبه إليها وهي تقترب منه شيئًا فشيئًا، فأخذ يبتعد بقدر ما تقترب منه.. تعثر في شيء خلفه.. إنها قطعة من هذا الشيء الحجري.. عندما وقعَ نظرَ نظرة خاطفة لهذا الجزء فرأى حروفًا غريبة غير شبيهة بأي لغة.. نظر بعدها إليها وقد أصبحت المسافة بينه وبينها نصف متر.. رفع رأسه نحوها ليرى ماذا ستفعل معه.. ابتسمت له بخِلقتها الدميمة، ثم فتحت فمها بأنيابها لتصرخ صرخة جعلته داخل تلك الدوائر التي من الأكيد ستنقله إلى مكان آخر.

تبًا لها هذه الملعونة.. «ليليث».

-١٢-

أين هو الآن؟ إنه في حفرة، مكان ما.. شبيه بأماكن التنقيب الأثرية.. هناك رجلان.. يظهر عليهما من ملابسهما أنهما من عصر قديم نوعًا ما عن عصره هو.. يحمل أحدهما قطعة من الحجر.. إنها هي نفس القطعة نفسها التي قامت «ليليث» بكسرها.. بالكاد سمع بين هذين الرجلين حوارًا:

- لقد عثرنا على هذه القطعة.

- مدهش يا شباب.. إنه اكتشاف جيد لنا.

- من الأكيد أنها اللغة الأكادية المسمارية.

وعلى الجانب الآخر نقوش لامرأة بجناحين، عارية الجسد، ذات أقدام كأقدام البوم، تقف فوق أسدين، وتمسك في يدها حبلًا ما، وبجانبها بومتان.

- سنعرف كل هذا بعد قليل.. أحضروا لي المترجم.

يتابع «وحيد» الحوار.. لغة بابلية؟ هل هو في العراق إذن؟ ولماذا جاءت به إلى هنا؟ هل هذا الاكتشاف الذي عثروا عليه له علاقة بتلك الملعونة؟ انتظر إلى أن رأى المترجم قد حضر وأخذ القطعة، ونظر لها، ثم نظر إلى الرجلين، وقال:

- «ليليث».
- ماذا؟
- إنها لوحة تعويذة الشر.
ثم صمت فجأة.. وبينما يقرأ هذه اللغة قال:
- تقول إن «إنانا» أرسلت «ليليتو»، البغي المقدَّس لها، لتغوي الرجال في الطريق.. وتقودهم إلى معبد الآلهة.. ووصفها بالشيطانة القاتلة الغاوية، حاملة المرض والموت، قاتلة الأطفال، وغاوية الرجال وقاتلتهم.. وتتناول اللوحة ابتهالات للربة «إنانا» للحماية منها.
- جميل وماذا أيضًا؟
- لا جديد، فاللوحة صغيرة ولا تحمل أكثر من هذا.
قال رجل منهم، الذي يبدو عليه أنه هو المنقِّب الأثري، أي كبيرهم:
- ليست هذه هي المرة الأولى التي يتم العثور فيها على نقش لتلك المرأة، فهناك النقش السومري، الذي تم العثور عليه في أورك، أن إله السماء أمر بإنبات شجرة صفصاف على ضفاف نهر «دجلة» في مدينة «أورك»، وبعد أن ترعرعت الشجرة اتخذ تنين من جذورها بيتًا له، بينما اتخذ طائر مخيف من أغصانها عشًا له، في حين كانت «يد إنانا» تعيش في جذع الشجرة.. وعندما سمع «جلجامش»، ملك «أورك»، بهذه الشجرة حمل سيفه ودرعه وقتل التنين، واقتلع الشجرة من جذورها، بينما هربت «يد إنانا» مع الطائر إلى البرية، ويد «إنانا» هي «ليليتو».
قال الرجل الآخر:
- تبًا لأساطير القدماء هذه.
قال المترجم:
- إن الأساطير لا تأتي من فراغ.. وإني لأظنها غير ذلك، ففي المخطوطات اليهودية هناك ذكر عن «ليليث» أو «ليليتو» أو «شيطانة الليل».
كل هذا و«وحيد» يتابع الحوار.. لقد بدأ يفهم أنه تحت لعنة قديمة.. لا

يدري كيف وصل إليها.. إنها غاوية الرجال وقاتلتهم.

وهناك على أعلى الشجرة الشاهقة بجانب مكان الحفر، كانت هناك بومة تنظر إلى الحضور.. وتنظر إلى «وحيد» على وجه التحديد.. ثم تطير لتذهب نحوهم.. نحو «وحيد» بالخصوص.. شعر بها في فزع وهي تقترب منه.. تقترب أكثر وأكثر نحوه.. أصدرت صرخة عرفها.. إنها صرخة «ليليث».. دار بعدها في تلك الدوائر للمرة الثالثة.. أين ستأخذه هذه المرة؟

* * *

يقف وهو يعلم هذه المرة أنه في مكان للحفريات والآثار.. أين هو على وجه التحديد؟ لا يعلم، ولكن هناك أشخاصًا بالزي العربي البدوي، إن أردت تقريب المعنى لك.. ومجموعة من الأجانب بزيهم المختلف عن هؤلاء العرب.. وهناك في مكان غير بعيد منه.. مبنى قديم متهالك.. طلل إن أردت تقريب المعنى.. وحول هذا الطلل الضخم أشخاص يزيحون الأتربة عن أعمدته وأسواره.. «وحيد» واقف يراقب ما يحدث. هناك رجل من هؤلاء العرب يهمس نحو هذا الأجنبي ويقول له شيئًا ما ويهز الأجنبي رأسه، ثم يقتربان من هذا الطلل.. كل هذا و«وحيد» لا يعرف ما هذا الشيء، وما أهميته بالنسبة إلى اللعنة.. ولكنه طلل عظيم فعلًا.. أهو كان في الأصل معبد مثلًا؟

يقترب الفريق الأثري من هذا الطلل ويدخلونه.. ويتبعهم «وحيد».. أين سيذهبون؟ لا يعلم.. وجدوا أنفسهم أمام مقبرة.. لا ليست للبشر بل للأفاعي.. عدد كبير وهائل من الأفاعي المحنطة.. كل شخص منهم يسجل ملاحظاته و«وحيد» واقف يشاهد تلك المقبرة.. لم يهتم به أحد، فعلى الأغلب أنهم لم يروه أصلًا.. اقترب أحد العرب من أفعى محنطة والتفت لمن حوله وقال:

- إنه أعظم اكتشاف لفلسطين لسنة ١٩٠٣.

لم يرد عليه الجمع، فقد كانوا مشغولين في ذهولهم ودهشتهم.. ولعل دهشة «وحيد» الوحيدة حينها ليست في تلك الجثث المحنطة بل فيما قاله

الشخص.. إنه في عام ١٩٠٣!

أخذ كل شخص من هؤلاء الأثريين ينتشر في هذا المكان يزيح الرمال والأتربة عن الأفاعي المحنطة.. ومنهم من يبحث عن أي اكتشاف أثري آخر.. عثروا على مخطوطة قديمة ملقاة.. أخذها أحدهم ثم أعطاها لهذا الرجل الأجنبي، السابق ذكره، فنظر لها الأجنبي وذهب بها إلى أجنبي آخر، فنظر الأخير إلى المخطوطة وأخذ يقرأ بصوت عالٍ:

(الأفعى المقدسة تمثل: الشيطان.. المرأة.. الشر).

(يا شيطانة العاصفة احمي صورك).

أخذ الرجل ينظر إلى الورقة ثم نظر لهم وقال:

«I›ll stop here.. I can›t read any more» (سوف أتوقف هنا.. لا أستطيع قراءة المزيد).

رد شخص أجنبي آخر:

«Why what is the matter؟» (لماذا؟ ما الأمر؟).

«Nothing is not appeared» (لا شيء واضح).

يتابع «وحيد» الحوار، فهذه اللغة المكتوبة بها بالتأكيد أنها العبرية القديمة، ولكن هل هي اللغة التي نطق بها العالِم؟ ولماذا توقف؟ لماذا؟ هل باقي أجزاء المخطوطة غير واضح، كما قال هذا الرجل؟ تدَّخل أحد المنقِّبين العرب، وسحب المخطوطة من يده ونظر لها، ثم نظر لهم متسائلًا:

- عجبًا.. إنها العبرانية القديمة، ولكن كيف قرأتها بالعبرية الحديثة؟

قال الرجل الأجنبي بلهجة عربية مكسَّرة:

- فهمت مضمونها وقلتها بهذه اللغة.. ولا أدري لماذا بالعبرية الحديثة بالذات؟

- عجيب جدًّا.

وطبعًا «وحيد» لم يفهم أي جملة مما في المخطوطة.. ولكن ما علاقته الآن بهذا المكان؟

ولماذا يقف الآن ينظر إلى البحث والتنقيب في هذا المكان؟! يمقت «ليليث»، فبالتأكيد هذا المكان له علاقة بتلك الملعونة.. إنها ملعونة فعلًا.. سمع صوت أحد الرجال العرب يهتف:

- عثرنا على هذا التمثال الصغير.

ثم أعطاه للرجل الأجنبي.. الذي ابتسم وأخذ يقلِّب في التمثال، وقال:

«It is the greatest discovery we found today.. I think this piece dates back to the Eighth century BC» (إنه أعظم اكتشاف عثرنا عليه اليوم. أظن أن تاريخ هذه القطعة يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد).

دقق «وحيد» في هذا التمثال.. فوجده تمثالًا برونزيًا لأفعى الكوبرا.. رأى القوم وهم يجتمعون حول هذا التمثال الذي كان وجهه نحو «وحيد».. عين الكوبرا يشع منها الشر.. شر شعر به بشدة.. تمثال يشع من عينيه الشر؟ يكاد يجزم أنه ليس مجرد تمثال للكوبرا بل لعنة.. وقد تأكد له ما فكر فيه، فالتمثال بدأ في التحرك.. خرجت الكوبرا من حيزها وقفزت من بين أيديهم نحو «وحيد».. صرخت نفس الصرخة التي سمعها تكرارًا.. تلك الصرخة الشرسة القاسية.. صرخة تليق بصراخ امرأة جلدها يتمزق مع بعض الشر في نبراتها.. صرخة «ليليث».

-١٣-

دارت الدوائر حوله وانتقل بداخلها.. إلى أن سكن الضجيج حوله.. فأين هو الآن؟ فتح عينيه في هدوء.. كان في مكان مألوف بالنسبة له، نظر إلى المناضد الفارغة، والديكور حوله، حيث الأوراق الاصطناعية والكراسي من الخشب، والشجرة الموجودة هناك.. عرف أنه في مطعم صاحب أبيه. هذه الشجرة الموضوعة هناك.. شجرة التفاح.. يقترب «وحيد» من هذه الشجرة ويقلِّب في ثمارها الزينة.. ثمار التفاح.. يرجع للوراء فزعًا فور رؤيته للأفعى وهي تتدلى من على فروع الشجرة لتلتف حول جزعها.. ينظر لها في فزع.. أفعى في شجرة زينة؟ أخذت الأفعى تنزل إلى أن أصبح وجهها مواجهًا لوجهه ثم تكلمت.. بصوت عرفه.. إنه صوتها.. صوت «لي لي».

- خذ ثمرة وكُلها يا «وحيد».

نظر لها في استنكار.. فعاد صوتها الرقيق الحلو المثير يدق أذنيه:

- كُل ثمرة يا حبيبي.. فلن يضر إن أكلت تفاحة.

- كل من هذه الشجرة يا «وحيد» لتملك الجنة.

وجد نفسه يقطف من الشجرة ثمرة من ثمار التفاح.. ولكن يا للعجب، وجدها وقد أصبحت تفاحة حقيقية وليست زينة! ثم أخذ يأكل من

التفاحة.. والأفعى تنظر له.. وقد عادت من حيث جاءت.
وماذا الآن؟ إنه أخطأ، فكان لا بد أن يتجنب هذه الشجرة ولكنها أغوته، فاسودَّت الدنيا حوله.. وها هي في ركن المطعم تنظر له وتبتسم في خبث، حيث لا يدري بها.. نظر إلى الشجرة مليًا، ثم شعر بشيء خلفه، فنظر خلفه فوجد «لي لي» تنظر له في تشفٍّ وانتقام:
- كم أنت ضعيف يا.. يا «آدم». هكذا أغويت جدك.
- ضعيف؟ هكذا قال في نفسه.. هل «آدم» ضعيف؟ لا هي الضعيفة.. أعادت الكلام بصوتها الذي طالما عشقه:
- أغويت جدك «آدم»، وأمرته بالأكل من الشجرة المحرَّمة، فغضب عليه إلهه وطرده من الجنة بفضلي.. بفضلي أنا وحدي.
نظر إلى «لي لي» وهي تتحول إلى الأبشع.. تتحول إلى «ليليث».. أشهرت جناحيها أمامه، ثم لم تصرخ هذه المرة.. قفزت عليه في قوة شيطانية كأسد يهجم على فريسته.. احتوته بجناحيها، ولم يدرِ بشيء بعدها.

* * *

» (أحضري بحق يهوه.. أحضري بحق يهوه.. أحضري بحق يهوه)..
هذا الصوت وهذه اللغة مجددًا؟ أين هو الآن؟ يفتح عينيه.. لا يرى شيئًا.. ظلام.. كيف هو؟ هو نائم على الأرض.. أين هذه الملعونة؟ أين تلك الأسطورة؟ أين تلك الشيطانة؟ ما معنى هذا الصوت الذي يسمعه.. إنها العبرية إذن، فماذا تعنيه؟
(«ليليث».. انتقام).
(«ليليث».. انتقام).
(«ليليث».. انتقام).
هذا الصوت يتكرر.. أريد أن أفهم.. ما هذا الصوت؟ هكذا قال «وحيد» لنفسه.
الظلام يخيم على المكان حوله.. فجأة وجد الضوء حوله وهو نائم على

الأرض كما توقع.. عرف بعدها أن مصدر الضوء هو الشموع.. عدد كبير من الشموع حوله فجأة اشتعلت.. قام فجلس ليعرف أين هو على وجه الدقة.. لم يفهم أي شيء سوى أنه في قاعة كبيرة.. وأنه جالس داخل رسمة مرسومة.. نجمة.. أهي النجمة الرمز اليهودي؟ ما زال يسمع صوت فتاة ما تتحدث كأنها تحضِّر «ليليث» مثلًا.. إذن أين هذه الفتاة؟ هناك وجد فتاة جالسة على الأرض تعطي له ظهرها.. قام ليذهب نحوها حتى يعرفها.. ولكن هناك ما شدَّه ليعيقه.. نظر إلى قدميه فوجدهما مكبلتين بالسلاسل من الأرض.. سأل نفسه.. سأل نفسه في صمت مشوب بالذعر:

- ماذا تفعل هذه الفتاة؟

أيستطيع القيام؟ لا، فهو في دائرة مغلقة.. هو كمسجون.. بالتأكيد هذه الفتاة هي السبب في كل هذا.. بالتأكيد.. ولذلك هو كالمسجون الذي يرى حريته ولا يستطيع امتلاكها، والسبب أنه مسجون لعنة حلَّت عليه.

ماذا يفعل؟ أيصرخ فيها لعله يلفت نظرها نحوه فيرى وجهها؟ أيصرخ فيطفئ صراخه هدوء واستقرار الشموع فيحل الظلام التام؟ وجد نفسه ينادي لا صارخًا:

- من أنتِ؟

ما زالت هذه الفتاة تكرر الكلام.. تقرأ في شيء، بالطبع لا يراه.. جلستها تقول هذا.. هو الآن داخل النجمة، داخل قاعة فارغة.. أهو في مكان لعبادة الشيطان مثلًا؟ لا، فماذا عن النجمة اليهودية التي هو داخلها؟ إنه إذن في معبد يهودي، ولكن أين الأعمدة والمحراب؟ ولكن ما الذي ستفعله به هذه الفتاة؟ جاءه الرد حاسمًا في وقتها.. فهبَّت العاصفة.

عاصفة في مكان مغلق؟ لا يرى فيه نافذة واحدة؟ ما هذا الهراء؟! نعم إنها العاصفة.. هبَّت فأطفأت الشموع. إذن فلا داعي لصراخه ليطفئ الشموع. الظلام حالك.. الهدوء بالغ.. صوت الفتاة اختفى، فلا يوجد أي صوت سوى العاصفة.. العاصفة فقط.. العاصفة التي تذكَّر «وحيد» أنها تعني شيئًا

واحدًا.. تعني أن «ليليث» شيطانة العواصف قد حلَّت وحضرت الآن.

* * *

كان ينظر في دهشة وبلاهة من انشقت به الأرض ليسقط في ممر طويل، مجتازًا الصخور والتشققات الصخرية ليجد نفسه في لب الأرض، حيث الجحيم الأرضي.. ينظر إلى اللاشيء فلا يرى أي شيء أمامه، ولكنه شعر بوجود شيء ما معه.. سمع أيضًا هذه الجملة الرقيقة من الفتاة الرقيقة التي عشقها.. «لي لي»:

- أنا هنا معك يا حبيبي.. لا تخف.

لا أخاف؟ هذه هي «ليليث» الملعونة، وتقول لي لا أخاف؟ إن ما يحدث بي هو الفزع نفسه.. إنه الدمار.

- لا لم أدمرك بعد.. التدمير سيأتي بعد قليل.

- أسمعت أفكاري هذه المرة؟ تبًا لها هذه المعتوهة الملعونة.. ماذا أفعل؟ جاءت لي فكرة.. أستعيذ بالله منها لعلها ترحل.

- أعوذ بالله منك.

أخذت تضحك قليلًا، ثم صمتت، وقالت:

- لا أخفي عنك أن ما تقوله آذاني.. آذاني في داخلي.. ولكن لن يحدث معي شيء، أتعرف لماذا؟

نظر من دون أي كلمة إلى السواد ولم يرد.

- لأنك لم تعرف الله الذي تتحدث عنه بعد.. فكيف لم تعرفه ثم تحتمي به من شيطانة؟

- ولكنني.

- ولكنك ملعون.

اللعنة لا تأتي من الفراغ.. فبالتأكيد هناك سبب لتلتصق بك اللعنة.

ترى هل هو ملعون كما قالت له؟ هل هو ملعون؟ ومنذ متى هو ملعون؟ غير هذا كله.. هل يصدقها هو؟

هل يصدق كلام «شيطانة».. «شيطانة» حكم عليها الله باللعنة؟ ولكن هي على حق في هذه المرة.. فهو في حياته لم يعرف الله معرفة كاملة إلا في فترة وانقضت، فكيف يحتمي به منها؟

- لا لست ملعونًا.

- اسمع يا عزيزي مهما ستفعل فأنا قدرك.. أتفهم هذا؟ أنا قدرك إلى أجل مسمى.

لم يرد عليها.. بل استمر في النظر إلى الفراغ.. إلى غياهب الفراغ أمامه.

نظر وهو على استعداد للموت بجملة مسمومة من فم تلك الأفعى.

الأفعى التي أغوت «آدم».

التي أمرته بالأكل من الشجرة المحرَّمة.

كما قالت له!

الأفعى التي تريد الانتقام.

الأفعى «ليليث».

-١٤-

أين هو الآن؟ لا يعرف.. اختفى صوتها.. حمد الله في سره أنها اختفت.. ما زال ينظر في الظلام في هذا التجويف الواسع أمامه.. تجويف كتجويف جمجمة إنسان لا يعرف مدى وسعها.. بالتأكيد لن يستطيع القيام، فالسلاسل ما زالت موجودة.. الهدوء حوله ثابت في مكانه لم تتخلله شوائب.. أيفتح عينيه أم يغلقهما، كلاهما واحد لديه.. أغلق عينيه لعله ينام فلا يشعر بأي شيء.

والده ينظر له والدماء تسيل من رقبته.

«لي لي» تمسك رأس أبيه.

الأفعى التي هجمت عليه في المكان الأثري الغريب.

الفتاة جالسة تقرأ تعاويذ مخيفة.

شكل «ليليث» المخيف المرعب ينظر إليه.

كوابيس في كوابيس.. هواجس وهواجس أتت له.. وعلى الرغم من ذلك يرفض الخروج.. يرفض الخروج إلى الواقع، حيث الظلام ينتظره.

«وحيد» الآن على السرير فوق فتاة.. من الواضح أنهما في حالة حميمية.

غراب أسود يطير فيستقر على غصن شجرة خالية من الأوراق في منطقة مهجورة.. تقف بجانبه بومة شبه سوداء تبرق عيناها في سكون.. تحت

الشجرة يجلس ضبع أحدب الظهر مثل أقرانه.. في السماء يوجد البدر؛ كبير الحجم، صافي البياض، وناصع الإضاءة في الوقت نفسه.. يعكر صفوه جسم صغير يتوسط هذا الجسم الدائري يكبر شيئًا فشيئًا إلى أن يحجب البدر عن الكون فيظهر الجسم بوضوح.. أنثى قبيحة الشكل بجناحين يرفرفان في الهواء.. «ليليث» شيطانة الليل.

تنزل لتستقر أعلى الأغصان الفارغة.. الغصن لم ينكسر بعد.. تنزل وتتخذ وضع هجوم الكلب على فريسته فلا تنزعج منها البومة الواقفة على الشجرة نفسها.. تطلق صرخة يصل صداها لعشرات الكيلومترات.

يفيق «وحيد» متوقعًا أن تقابل عيناه الظلام في أولى جولاتها، ولكن ما حدث أن قابلت عيناه السقف.. لم يكن غريبًا عليه، فهناك جبال من التشبيهات في عقله.. دخل داخل عقله طويلًا، وتوغل وتجوَّل بحثًا عن نتيجة ما كمؤشر بحث على «Google» يبحث عن نتيجة لجملة ما أو كلمة ما.. وسرعان ما ظهرت النتيجة.. أن هذا السقف يقع في غرفته وفقًا لـ«Google Earth» في ذاكرته.. متى وكيف جاء هنا؟ هل هذا كله كان حلمًا.. كابوسًا؟

ولنفرض أنه كان كابوسًا.. هل هناك كابوس على وجه السماوات والأرض بالقسوة نفسها التي تعمَّق فيها؟ جلس على سريره يتفحص ملامح غرفته: الدولاب.. المكتب.. الكمبيوتر المفتوح دائمًا.. باب الغرفة المغلق.. السرير الجالس عليه.. هناك صوت صادر من الكمبيوتر.. يشعر بالتعب لمجرد الحركة في مكانه، فكيف إذا قام ليستكشف ويبحث عن سبب هذا الصوت.. ولكنه قام وذهب فوجده إشارة بأن هناك شخصًا يريد التحدث إليك.. إنها «lily katty».. هذه الملعونة؟ فتح فمرر عينيه المجهدتين فوق كلامها:

- الجحيم خُلق ليكون لك يا «آدم».

ما هذا؟ خرج من الغرفة سريعًا ودخل غرفة والده ليتأكد أن ما حدث له ولوالده كان كابوسًا.. خاب ظنه ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي يخيب فيها ظنه.. «ليليث»، تلك المرأة البشعة.. التي إن رأيتها في يوم ما تكون

حينها في موقف لا تُحسد عليه.. تقف ماسكة السكين بيد، ورأس «سعيد» بيدها الأخرى.. تنظر له.. وجسد مسجَّى بجانبها يرتعش في عنف.. لا يدري «وحيد» ماذا يفعل بعد ما انتهى أمله في كابوسية ما يحدث له.. أغمض عينيه في ألم يفوق ألم بتر الأعضاء.. ثم حاول فتحهما متمنيًا أن يزول من أمام عينيه منظر أبيه هذا.. حاول فتحهما، وفتحهما فاسودَّت الدنيا في عينيه.. أين سيذهب؟!

* * *

متى وجد نفسه هاهنا؟ مكان تضيئه النيران.. خالٍ من أي شيء، ومن أي شخص.. حيطانه من الجير الأبيض، مرتَّبة في انتظام.. كيف جاء هنا؟ لو كان يعلم لأراح عقله من هذه التساؤلات الرتيبة فلم يضيِّع وقتًا في التفكير الممل.. ورأى الباب.. باب من الصخر ثقيل، ولكن بعد ما سقطت نقطتان من العرق استطاع أن يفتح الباب فاستطاعت الشمس أخيرًا أن تدخل هذه الحجرة وتسلِّم على حوائطها ونيرانها.. سار يحاول فهم أين هو.. مر بجانبه طفلان يصرخان ويبكيان.. امرأة بعباءة غريبة الشكل ذات ملامح شرقية تصرخ وتولول.. سار وهو غير فاهم ما الذي يحدث؟ مرَّ على فتاتين كل منهما تلطم على وجهها في عنف.. مرَّ على مجموعة من رجال يضربون كفًا بكف، بزيٍّ ألوانه زاهية يجمع ما بين الجلباب والعباءة، ذوي لحى طويلة إلى حد ما.. هناك رجل أصلع الرأس، حليق الذقن، يلبس رداءً أبيض مثل الحجاج، يجري رافعًا يديه إلى السماء.. نظر حوله إلى الأشياء فوجد بيوتًا شاهقة وأشجارًا وحدائق معلَّقة وغير معلَّقة.. أمامه هناك من بعيد يقع مبنى ضخم تسنده أعمدة مرتفعة.. عاد مرة أخرى هذا السؤال الرتيب الممل الذي لم يكف يومًا ما عن تساؤله: أين هو؟ وأضاف إليه سؤالًا آخر: متى هو؟ من الواضح والأكيد أنه الآن في عصر لا يمت لعصره بصلة.. ولكن ما الذي يحدث؟ لماذا يصرخون ويلطمون وجوههم؟ لماذا يسمع الصراخ من كل مَن حوله؟ يسير ويسمع الصراخ ويرى الرجال يبكون ويضربون كفًا بكف،

والنساء يلطمن ويصرخن، والأطفال كذلك.. ماذا يحدث حوله؟ فذهب نحو رجل كان ينظر في صدمة ووقف أمامه وسأله «وحيد»:

- اعذرني.. ما الذي يحدث؟

أطلق الرجل عبارات غريبة وعجيبة بلغة غير مفهومة.. ما هذه اللغة؟ إنها ليست عبرية، ولا عربية، ولا حتى هندية بالطبع، بل أغرب بكثير وأكثر بدائية.. لم يفهم «وحيد»، فأعاد السؤال، ولكن الرجل ذا اللحية ما زال يتحدث في انفعال.. ثم بعد هُنيهة صَمت، فمن الواضح أنه فهم أن الفهم بينهما بالكلام مستحيل.. أخرج قطعة كبيرة في حجم الورقة من الجلد من عباءته.. جلد جاموس ربما، وسحب أيضًا من المكان نفسه قطعة من الطباشير.. تبًا لأساليب الكتابة القديمة.. ثم شرع الرجل في رسم شيء ما وانتهى فأعطى قطعة الجلد هذه لـ«وحيد»، فشعر الأخير بالفزع ما إن رأى الصورة.

امرأة عارية الجسد بجناحين.. مقلتاها مقوستان.. أنيابها بارزة.. بالطبع إنها تذكِّره بشخصية يعرفها عز المعرفة.. شخصية ملامحها في الرسمة تعتبر «رقيقة» جدًّا مقارنة بهيئتها البشعة التي رآها كثيرًا حتى اعتاد عليها.. إنها «ليليث».

أفاق من شروده.. على صوت الرجل وهو يقول:

- «لي.. لي.. ثو».

نظر «وحيد» له، وحينها سرقه الشرود مرة أخرى.

سرقه إلى حيث لا يدري.. اسودَّت الدنيا من حوله.. وفي عينيه.

* * *

الضوء يعود تدريجيًا ليشمل عالمه إلى أن يستطيع الرؤية كاملة.. قاعة ضخمة واسعة الأركان داخلها بعض البشر يقفون أمامه.. رجال حليقو الشعر والذقن، أو تاركو الشعر والذقن، ونساء؛ فتيات وعواجيز، يقفن فيرى ظهورهن.. أما وجوههن فمتوجهة بتضرع وابتهال ونحيب وبكاء إلى تمثال

ضخم لامرأة.. تمثال ضخم من الصخر وعالي الارتفاع.. امرأة رآها من قبل بالتأكيد.

Flash Back

أين هو الآن؟ إنه في حفرة، مكان ما.. شبيه بأماكن التنقيب الأثرية.. هناك رجلان.. يظهر عليهما من ملابسهما أنهما من عصر قديم نوعًا ما عن عصره هو.. يحمل أحدهما قطعة من الحجر.. إنها هي نفس القطعة نفسها التي قامت «ليليث» بكسرها.. بالكاد سمع بين هذين الرجلين حوارًا:

- لقد عثرنا على هذه القطعة.

- مدهش يا شباب.. إنه اكتشاف جيد لنا.

- من الأكيد أنها اللغة الأكادية المسمارية.

وعلى الجانب الآخر نقوش لامرأة بجناحين، عارية الجسد، ذات أقدام كأقدام البوم، تقف فوق أسدين، وتمسك في يدها حبلًا ما، وبجانبها بومتان.

- سنعرف كل هذا بعد قليل.. أحضروا لي المترجم.

يتابع «وحيد» الحوار.. لغة بابلية؟ هل هو في العراق إذن؟ ولماذا جاءت به إلى هنا؟ هل هذا الاكتشاف الذي عثروا عليه له علاقة بتلك الملعونة؟ انتظر إلى أن رأى المترجم قد حضر وأخذ القطعة، ونظر لها، ثم نظر إلى الرجلين، وقال:

- «ليليث».

- ماذا؟

- إنها لوحة تعويذة الشر.

ثم صمت فجأة.. وبينما يقرأ هذه اللغة قال:

- تقول إن «إنانا» أرسلت «ليليتو»، البغي المقدَّس لها، لتغوي الرجال في الطريق.. وتقودهم إلى معبد الآلهة.. ووصفها بالشيطانة القاتلة الغاوية، حاملة المرض والموت، قاتلة الأطفال، وغاوية الرجال وقاتلتهم.. وتتناول اللوحة ابتهالات للربة «إنانا» للحماية منها.

- جميل وماذا أيضًا؟
- لا جديد، فاللوحة صغيرة ولا تحمل أكثر من هذا.
قال رجل منهم، الذي يبدو عليه أنه هو المنقِّب الأثري، أي كبيرهم:
- ليست هذه هي المرة الأولى التي يتم العثور فيها على نقش لتلك المرأة، فهناك النقش السومري، الذي تم العثور عليه في أورك، أن إله السماء أمر بإنبات شجرة صفصاف على ضفاف نهر «دجلة» في مدينة «أورك»، وبعد أن ترعرعت الشجرة اتخذ تنين من جذورها بيتًا له، بينما اتخذ طائر مخيف من أغصانها عشًا له، في حين كانت «يد إنانا» تعيش في جذع الشجرة.. وعندما سمع «جلجامش»، ملك «أورك»، بهذه الشجرة حمل سيفه ودرعه وقتل التنين، واقتلع الشجرة من جذورها، بينما هربت «يد إنانا» مع الطائر إلى البرية، ويد «إنانا» هي «ليليتو».
قال الرجل الآخر:
- تبًا لأساطير القدماء هذه.

* * *

عاد أخيرًا من ذكرياته هذه عما حدث في ذلك الموقع الأثري.. ذكريات جاءت في وقتها.
علم وقتها أنه عاد في الزمن إلى الوراء لأكثر من ٣٠٠٠ عام.
حقًا.. تبًا لأساطير القدماء هذه.
- ماذا تريد مني؟
هكذا قال في نفسه.
قطع صوت لعناته في داخله.. صراخ مذهل.. صراخ كالصاعقة، أنثوي اللون والطعم والرائحة.. جعل جميع من كانوا في المعبد (هكذا استنتج وحيد) يجرون إلى الخارج وعلى وجوههم الهلع.. خرج وراءهم للشارع واقفًا ينظر في كل هذا الكمِّ من الذعر وهو يحاول الفهم.. هناك امرأة ورجلان يتحدثون معًا، فهم من كلامهم أن هناك رجلًا أغوته إلهة الشر لتقتله.. فهم من

كلامهم؟! يا للعجب، فقد وجد نفسه يفهم تلك اللغة الغريبة غير المفهومة على الإطلاق.. تلك اللغة المنقرضة.

ترك تعجبه من فهم هذه اللغة وأسرع يجري.. لا يعلم لماذا يجري وكيف يجري، وهو لم يعطِ إشارة لقدميه بعد للجري إلا أنه أخذ يجري.. أخذ يجري إلى أن وقف بعيدًا في منطقة صحراوية فلمح من بعيد رجلًا من هؤلاء القوم القدماء يهرول ناحية فتاة ناصعة البياض، شديدة سواد الشعر، عارية الجسد، تنظر له في إغراء صريح.. فتاة لم تخفِ عن ذاكرة «وحيد» للحظة.. «لي لي».. هذا الرجل يذهب نحوها في اشتهاء كالكلب العطِش الذي يجد بحيرة ماء فيسيل لعابه من أجل لحظة يروي فيها عطشه. يذهب نحوها، وعندما يقترب منها تمسح على رأسه ثم تظهر أنيابها كمصاصة دماء في أفلام الرعب فتنقض على رقبته مثل الأفلام أيضًا! يصرخ هذا الرجل مما يرى، ثم ينظر ناحية «وحيد»، ويصرخ له ويقول كلمة واحدة معناها:

اهرب.

يعرف «وحيد» أنه يقصده فيتقهقر خلف صخرة حتى لا تلاحظه تلك الملعونة التي أخرجت آلة حادة لا يعلم «وحيد» من أين أتت بها، ثم قامت بذبح ذلك الرجل إلى أن قطعت رأسه وأمسكت به وتركت جسده يسقط كلوح مكسور تتساقط منه الدماء.. ثم أطلقت صرخة مرعبة.. لا لم تسوَّد الدنيا في عيون «وحيد»، بل لم تسمح لعينيه أن تفعل هذا، فعلى الفور اهتزت الأرض حوله وتساقط المطر من السماء.. شعر بشيء يتساقط عليه.. نظر على ملابسه فكانت حمراء.. ونظر إلى أرض الصحراء أمامه فكانت حمراء.. نظر إلى نقطة سقطت على يده فكانت حمراء.. إنه الدم.

إنه الدم!

الجحيم خُلق ليكون لك يا «آدم».

هل هناك جحيم فوق هذا الجحيم؟

هراء!

-١٥-

ما هذه الدماء القاسية؟

إذا كان ما أراه حقيقيًا.. فهذا يعني شيئًا مهمًا جدًّا لحياتي الكابوسية.

أن أساطير القدماء ليست أساطير!

لا يعلم «وحيد» ماذا حدث بعد سقوط أمطار الدماء من السماء كلعنة من الإلهة «ليليث».. كل ما علم به أنه في بحر.. لونه أحمر.. أأصبحت الدماء فيضانات؟ إنه فعلًا غارق في الدماء بمعنى الكلمة.. كان دائمًا ما يسمع هذه الجملة في أخبار الحوادث عندما يسمع أن الضحية مقتولة «وغارقة في دمائها».. إنه وسط الدماء، قدماه لم تصل للقاع.. يسبح وأمامه الصحراء سابقًا والمحيط الدامي حاليًا. بالتأكيد سيصيبه التعب والإنهاك.. أخذ يسبح ولا يعلم متى تعلَّم السباحة، ولكن الأدرينالين يصنع المعجزات بالطبع.. ظل يسبح إلى أن أمسك شيئًا بقدمه ليسحبه لتحت.. إنها يد باردة بالتأكيد يد الملعونة.. ومَن غيرها ملعونة؟ تسحبه للأسفل ويصارع قليلًا ويصارع ثم يستسلم ويسقط.

إنه يسقط.. يغرق.. يرى الدماء تتخلل جسده كله.. ويراها.

تمسك كتفيه وتنظر في عينيه، بينما هو يختنق.. يغرق.. تحملق في عينيه

طويلًا.. وهو ينظر لها في فزع بنظرة رجل يحتضر.. رجل يغرق.
سواد.. لا شيء!

* * *

تتضح الرؤية تدريجيًا في عينيه.. هل غرق ويُحاسب؟ لا.. إنه حي يُرزق.. إنه الآن في غرفة عتيقة، وهناك على يساره مصطبة من الجير على هيئة سرير ينام فوقه رجل وامرأة غارقان في ممارسة الجنس.. غير عابئين بمَن معهما في الغرفة.. غارقان فيما هما فيه وحسب. فجأة تدخل عليهما امرأة جميلة الشكل ترتدي عباءة ذات طراز عتيق، وتنظر لهما في صدمة، وعندما يشعران بوجودها يعتدلان في جلستهما بسرعة، وهما ينظران إليها مشدوهين.. كانت النظرة في عين الرجل تدل على ضبط زوجته له وهو في أحضان امرأة أخرى متلبسًا بخيانتها.. يعرف «وحيد» هذا الرجل جيدًا.. إنه الرجل الذي قطعت «لي لي» رأسه منذ قليل.

يرى الرجل وقد اعتلى الفزع ملامحه ويقوم ذاهبًا إليها وعضوه الذكرى متدلٍ، فتشيح بوجهها عن ذلك المنظر المقزز.. وتجرى مسرعة إلى الخارج.. أما المرأة التي كانت تضاجعه أو يضاجعها منذ قليل فكانت جالسة عارية الصدر ذاهلة ترى المشهد الذي يحدث أمامها.. غير مصدقة ما سوف تفعله زوجة عشيقها التي لها علاقة مباشرة بالربَّة.

دار المشهد من دون ولا كلمة.. و«وحيد» يحاول أن يفهم ما علاقة تلك الخيانة بقطع رأسه على يد «لي لي» أو «ليليث» أيهما أقرب للتصديق! ولم يجد أي علاقة حتى انتابه صداع يكاد أن يفتك بدماغه وثم..

سواد.

الصورة أمامه غير واضحة.. أين هو ومتى؟ بالتأكيد أنه ما زال في بابل القديمة.. قال في نفسه بملل، فهو في حياته لم يحب التاريخ ولا الأفلام التاريخية العقيمة:

- متى سأعود؟

كل ما سمعه كان حوارًا بين امرأة غاضبة ورجل يحاول أن يهدِّئها.. وكل الحوار بتلك اللغة الغريبة التي وجد «وحيد» نفسه فجأة يفهمها.

- لا لم أخنك.

- كاذب.. وماذا عن رؤيتي لكما على السرير؟

- إنه سحر إلهتك تلك.

- هل ما رأيته تهيؤات مثلًا؟

- ربما.. تحاول أن تشوه صورتي عندك.

- وما مصلحتها إذن؟

- إنها تكره كل جنسنا.

- لأنها تعرفكم يا معشر الرجال.

- دعينا في موضوعنا.. أقسم بإلهتك إنني لم أخنك.

- ولماذا لم تذكر اسمها إذن.. قل اسمها.

بعد تردد ظهر في صوته.. قالها أخيرًا:

- أقسم بـ«ليليتو».

- وبحق «ليليتو» التي لم أقسم بها كذبًا كما فعلت.. ستندم.

- ماذا قلتِ؟

صمتت تلك المرأة الساخطة على زوجها.. ليسمع «وحيد» ويسمعا صوت صراخ من الخارج كأنها اللعنة.. أعاد الرجل كلامه في دهشة هذه المرة:

- ماذا قلتِ؟

لم ترد عليه.. اختفى الصوت، وما زالت الرؤية لدى «وحيد» غير واضحة.

ما زالت الصورة مبهمة.

لا يدري هل انتهى المشهد وسوف تدخله لعنة «ليليث» في مشهد آخر.. أم ماذا؟

تحملق في عينيه.. أفاق لعينيها وهو في هذا البحر الدموي.. يغرق.. إنه سيموت لا محالة.. ما زالت تنظر إليه مبتسمة.. تلك الابتسامة التي سرعان

ما تحولت إلى غضب.. شبيه بغضب آلهة اليونان القديمة.
هل سيموت الآن؟ قطعًا لا بد أن يموت.. يرفس بقدميه ليترك لروحه فرصتها للخروج من جسده.. يترك روحه لتخرج من جسده، بينما «ليليث» تنظر له.. تبًا لها.
- متى سأموت وأرتاح.
قالها في داخله بمرارة وهو يحتضر.. قالها وهو يتمنَّى أن يحترق داخل هذه الدماء.
هل الدم قابل للاحتراق؟
- لا لن تموت الآن.
إنه صوتها.. لم يلاحظ قط أنها فتحت فمها البشع في اللحظات الفائتة هذه.. تقول له لا لن تموت، ولا يدري كيف قالت له هذا، ولا بأي مناسبة.. كل ما يستطيع التيقن به هو أنها تكلمت.
- اتركيني أموت في سلام أيتها الملعونة.
- لا سلام لـ«آدم».
لاحظ أنه لم يتكلم بالشفاه، ولا هي، بل إن الحديث دار بينهما بالأفكار.. هو يفكر، فترد عليه، فيسمع صوتها، ولا عجب في ذلك فـ«ليليث» تقرأ الأفكار.
لا سلام لـ«آدم».
الجحيم خُلق ليكون لك يا «آدم».
قلت لك من قبل إنني أسمع ما تفكر به.
أنتِ خرافة بابلية قديمة.
بكل هدوء تركت يديها الممسكتين به.. ثم رفعت يدها اليسرى ليراها ممسكة برأس «سعيد».. لا يدري «وحيد» كيف ولا متى جاءت برأس أبيه في قاع بحر الدماء هذا.. رفعت الرأس أمام عينيه، ثم قالت من دون أن تفتح فمها محملقة في عيني «وحيد» الناظرتين إلى رأس أبيه في فزع.. عينا «ليليث» المحملقتان تلك التي لم تختفيا من أمام عينيه قط.

- رأس أبيك هذه خرافة أيضًا؟
- لم أرَ شيطانة قذرة مثلك أبدًا.
- ولن ترى يا حبيبي.

دارت دوامة عنيفة في موضعهما.. دوامة كالإعصار جعلت الرؤية بينهما مستحيلة.. دوامة جعلت «وحيد» في مكان آخر بالطبع.. حيث اختفى كل شيء من أمامه في هذه اللحظة، وقبل أن يختفي كل شيء من أمامه.. سمع شيئًا ما منها:

(فقط في الجحيم.. يا «آدم»)..

لا سلام لـ«آدم».

ومنذ متى كان السلام؟

-١٦-

قالها في نفسه فور أن هدأت الدوامة.. السؤال هنا مثل كل مرة: أين هو؟ إنه نائم وللتو أفاق ليجد نفسه نائمًا على الأرض.. عاريًا تمامًا.. لا يستره أي شيء.. الإضاءة حوله خافتة.. مكان قديم.. شموع قليلة مضيئة.. في أي حقبة زمنيه هو؟ لا يعلم.

سمع صوتًا ما من مكان خارج المكان الذي هو فيه.. فتاة تقف هناك للتو، انتبه لها.. كانت «لي لي».. وكانت تمسك في يدها شيئًا آدميًا ملطخًا بالدماء، واليد الأخرى خلف ظهرها.. «لي لي» تلك الأنثى الرقيقة الجميلة تمسك عضو آدمي لم يتبين ما هو بعد.. كانت تنظر له مبتسمة، فاعتدل حتى جلس على الأرض، ونظر لها، لا يدري أي شيء عما حوله.. سألها:

- ما هذا الشيء؟

- إنه شيء لا يخصك حبيبي.

أخذت من ذلك العضو قضمة، ثم رمته نحوه فظهرت ملامحه.. إنه عضو تناسلي ذكري! اعتلت الدهشة وجهه، وسارع بالتحقق من نفسه فوجد جسده كما هو لم يقطع منه شيء.. نظر لها وقال باشمئزاز:

- ما هذا أيتها الملعونة؟

- قلت لك إنه لا يخصك.
ثم صمتت وأخرجت يدها الأخرى للعنان فإذا بها ممسكة برأس بشري.. رفعته من شعره وقالت:
- إنه يخص هذا الشخص.
ثم رمت الرأس نحوه.. دعا الله ألا يكون رأس أبيه.. وقد استجاب الله له.. فإذا هي رأس الرجل البابلي القديم الذي قال له:
«اهرب».
اعتلى الفزع وجهه، ثم قال:
- ماذا تريدين مني؟ ماذا فعلت؟
ضحكت بصوت عالٍ، ولم ترد عليه، بل اكتفت بإشارة من أصابعها الملطخة بالدماء فوجد نفسه يزحف لها إلى أن وصل تحت قدميها فانحنت نحوه وربتت على رأسه ككلب يدلله صاحبه، وابتسمت بود مصطنع قائلة بسخرية:
- ماذا فعلت؟
ثم ضحكت ضحكة لم يعرف سببها، وأردفت قائلة:
- تبًا لسذاجتك يا «آدم».
«آدم».. من هو «آدم» الذي يتكرر اسمه على سمعه كثيرًا؟
مرة.. الجحيم خُلق ليكون لك يا «آدم».
ومرة.. لا سلام لـ«آدم».
ومرة.. تبًا لسذاجتك يا «آدم».
من هو «آدم» هذا؟!
لم يتلقَ جوابًا.. فقد اختفت تلك اللعينة من أمامه.. وقعت عيناه على العضو المقضوم والرأس شاخص العينين، مفتوح الفم، متدلٍ منها اللسان على الجانب الأيمن.
متى يخرج من هذا العالم؟ ولماذا تصبح اللعنة قذرة إلى هذا الحد؟ لغة

غريبة وجد نفسه ينطق بها.. أشخاص عاشوا وماتوا قبل ولادته في أواخر ثمانينات القرن العشرين بأكثر من ٣٠٠٠ عام.. «ليليث» تلك الإلهة المريعة تفسد في الأرض وتقتل الكثير من الرجال لإرضاء زوجاتهم.. لا ليست حكاية قرأها بل هذا ما رآه.. فقد سبق أن رأى تلك الزوجة تسلِّط «ليليث» على قتل زوجها للانتقام منه.. هذا كله استدعى داخل عقله سؤالًا أخذ يسري في عقله كدودة تدخل في تفاحة لتستقر بداخلها:

- إذا كان هذا هو سبب لعنة «ليليث» فما ذنبه هو؟

فهو غير متزوج ويخون زوجته حتى تسلِّط عليه «ليليث» مثلًا.. وحتى لو كان متزوجًا هل من المعقول أن تسلِّط عليه «زوجته» أسطورة توراتية ومسمارية لتنتقم منه؟ إذن كيف أتت إليه؟ ولماذا تسعى لقتله؟ ولماذا قتلت أباه؟ فهل خان أبوه أمه قبل أن تموت، فسلَّطت عليه «ليليث»؟ ولماذا إذن قتلته بعد خمس سنوات من موتها؟

- إن ما أفكر فيه ما هو إلا أساطير الأولين.

أفاق من أفكاره وأساطيره.. ونظر إلى الواقع حوله.. هذا العضو، وهذا الرأس أمامه، كلما تمعَّن فيهما تساءل عن مدى شراسة الشياطين؟

تبًا لـ«ليليث».. مصاصة الدماء.. آكلة لحوم البشر.. قاطعة الرؤوس.

خرج من غيبوبته مرة أخرى، وحاول فهم كينونة المكان حوله.. إنه بالتأكيد مكان من العصر القديم.. مكان يشبه معابد الآلهة التي رآها في الأفلام.. مكان بالتأكيد صار حفريات وأطلالًا بعد أكثر من ٣٠٠٠ عام، أي في عامه هذا.. قام من جلوسه ونظر إلى جسده وعورته، ثم نظر حوله باحثًا عن أي شيء يستر به سوأته.. يبحث عن.. عن ورق الجنة ليخصف به عليها، فلم يجد.

حتى الباب لم يجده.

إنه في مكان مغلق تمامًا.. لا يوجد فيه منفذ للتنفس.. فإن لم يمت من الخوف سيموت مختنقًا بلا شك.. وذلك في كل الأحوال أهون بكثير من

الموت مقطوع الرأس على يد «ليليث».
- لا، لا يجب أن أموت في كل الأحوال.
فكر في أن يكون هناك مخرج.. لا بد.. يا إما تسوَّد الدنيا في عينيه لينتقل إلى مكان جديد كالعادة.
- أرأيت؟
سمع هذا الصوت فالتفت على أثره.. إنه صوت محبب إلى نفسه.. صوت «سعيد» والده، حيث وجده أمامه، وفى عينيه نظرة عتاب بالغة الأسى.. أعاد عليه والده السؤال:
- أرأيت؟
نظر إلى والده، وقال له في حزن عميق:
- آسف جدًّا.
- أنت فتحت على نفسك بابًا لن تتمكن من إغلاقه.
صمت «وحيد»، فهو يعلم جيدًا أن تلك اللعنة أصابته، فخسر أباه إلى الأبد.
- ماذا فعلت؟
- إنها ملعونة.
اختفى فجأة، فلعن «وحيد» تلك اللعنة.. يا الله أنقذني.
لأنك لم تعرف الله الذي تتحدث عنه.. فكيف تحتمي به من شيطانة؟
- أنقذني يا الله، فأنا أعرفك حق المعرفة.
قالها، ثم جلس على الأرض يبكي بكاءً حارًا.. سمع صوت خربشة فالتفت فإذا بتلك الملعونة بهيئتها البشعة تجلس وتخربش في جدران المكان ووجهها نحوه مبتسمة في سخرية.. نظر لها فزعًا متمنيًا أن تشتعل فيها النيران مثل بقية الشياطين.. لاح في عقله سؤال: هل هي إلهة أم شيطانة؟
ما زالت تنظر له مبتسمة في برود.. نظر لها وقال صارخًا:
- أيًا كان من تكونين.. فلتذهبي إلى الجحيم.
بسرعة لم يلحظها انتقلت من جلستها في الركن إليه كأنها تنتقل بسرعة

البرق.. نظرت له بعينيها اللتين تحملان جبالًا ووديانًا من الشر، وقالت:
- قلت لك يا حبيبي إن الجحيم دائمًا يكون لك يا «آدم».
كشَّرت عن أنيابها كأسد يستعد لالتهام فريسته، فقال في نفسه إنه سيموت الآن ويرتاح.
- لا لن أجعلك تموت بهذه السهولة.
صرخت.. وانتهى كل شيء.. اختفت من أمامه ملامحها البشعة ليحل مكانها منظر أكثر بشاعة.
الجحيم.. في باطن الأرض.
مكان لم يكن يتوقع أن يكون فيه.. إذا كان هذا المنظر البشع في باطن الأرض فكيف بجحيم الآخرة؟
هل جحيم الأرض هو نفسه جحيم الآخرة؟
الآن حوله كل شيء أحمر، مختلط بسواد اللون.. ساخن حارق.. حِمَم نارية بركانية حمراء سوداء تسيل حوله.. ويا للعجب لم يحترق.. رغم أن هذا العمق من الأرض جيولوجيًا لا يمكن أن يتحمله بشر أو آلة تنقيب جيولوجية.. إنها معجزة.
يرى «ليليث» شيطانة وإلهة الشر -أيهما أصح- تنظر له في تشفٍّ وتقول له:
- مرحبًا بك في عالمي يا «آدم».
الجحيم حارق.. إنه في باطن الأرض الآن.. حيث مسكن الشياطين والجن، كما سمع من قبل.. الشياطين والجن تعيش تحت الأرض.. أفلهذا سُمي بالعالم السفلي؟ الأهم من كل هذا والأكثر فزعًا من كل هذا أنه في ذلك العالم الآن.. تحت الأرض.
ولكن ما الذي يدريه أن هذا المكان تحت الأرض؟ إنه سمع من قبل أن تحت الأرض توجد النيران التي تنبعث منها الحِمَم البركانية من فوهات الجبال.. سمع هذا وربما قرأه في مادة الجيولوجيا في الثانوية العامة.. وها هو يرى كل شيء.. يرى الجحيم والحِمَم البركانية، و«ليليث» والشياطين حولها ينظرون

له.. مناظرهم بشعة.. أجسادهم من مارج من نار.. قرونهم طويلة.. عيونهم ذات أشكال هندسية.. يتوهج داخلها الشرر.. «ليليث» أطلقت جملتها فنظر لها «وحيد» الواقف على صخرة تتكسر عليها أمواج من الحِمَم:

- هل عرفت عالمي يا وحيد؟

وأخيرًا نطقت اسمه.. ولم تدعه «آدم».

إنه عالم تلك الشيطانة.

فهي تعيش في الجحيم.

نظر لها وهو غير مصدِّق أنه في ذلك المكان.. غير مصدِّق أنه يرى هذا الكم من الشياطين.. تُرى ما الذي ستفعله به أمام هذا الحشد.. نظرت له وقالت وكأنها ملكة الجحيم:

- هذا عالمي.. وهؤلاء أولادي.

كان هناك عدد كبير جدًّا من الشياطين حوله يحدِّقون به.. وكان يتحاشى النظر إلى بشاعتهم.. وهي ما زالت تقول له متفاخرة أمام أولادها:

- مَن يقترب من أولادي يكون هذا جزاءه.

خرج «وحيد» من حالة الفزع ومن حالة الشعور بالحرِّ.. فلا عجب فهو في باطن الأرض.. وقال لها وهو فوق الصخرة التي يخشى أن تنصهر فيسقط في الحِمَم:

- وماذا فعلت لأولادك بحق هذا الجحيم؟

- أنت لم تفعل يا «آدم».

نظر لها متعجبًا متسائلًا.. فأردفت قائلة:

- بل ربُّك.

-١٧-

الساعة: ١٢:٣٠ ظهرًا

كان ذلك الشاب يقف أمام مبنى الكلية.. وعلى وجهه ينطق التوتر والقلق.. كان يتحرك أمام المبنى الضخم ذهابًا وإيابًا.. ظهر من خلفه شاب آخر متجهًا نحوه مناديًا: «سامح.. سامح».

التفت «سامح» إلى مصدر الصوت فرأى «مازن»، فأسرع إليه هو الآخر إلى أن التقيا.. قال «سامح» في قلق:

- هل ذهبت إلى منزله؟

- بلى.. ولكن من الواضح أنه لا يوجد أحد هناك.

- ينتابني القلق من غياب «وحيد».

- وأنت هل اتصلت به؟

- هاتفه مغلق.

- معك رقم هاتف أبيه؟

- معي.

- إذن قم بالاتصال به لنعرف أين اختفى «وحيد»؟

أخرج «سامح» الموبايل، وقام بالاتصال بوالد «وحيد»، ولكنه سرعان ما وضع

الموبايل في جيبه في خيبة أمام «مازن» المتسائل:
- ماذا؟
- هاتفه أيضًا مغلق!
- ما الحل؟
- لا يوجد الآن سوى طريق واحد.
- إلى أين؟
- تنتهي المحاضرة وسنذهب إلى قسم الشرطة.
- تعالَ نذهب الآن.
- ومحاضراتنا؟
- فلتذهب إلى الجحيم.
أسرعا معًا ليخرجا من الحرم الجامعي ويذهبا إلى قسم الشرطة.. وفي ذهنيهما شيء واحد.
أين اختفيا؟
وحيد.. ووالده؟

* * *

تحت الأرض.. وفي الجحيم الحقيقي الذي لم يخطر أبدًا على بال «وحيد»، حتى إنه اعتقد في بادئ الأمر أن يوم القيامة قد جاء، وتلك المخلوقات التي رآها هي زبانية النار.. ما أشعل في عقله وقتها خاطرة أقرب ما تكون إلى سؤال:
ماذا فعلت لأدخل النار من دون حساب؟
إلا أنه بعدما رأى ما رأى، وأمعن النظر في تلك المخلوقة التي أمامه عرفها، جاء في باله مرة أخرى أنها في النار معه، فهذا طبيعي.. فالشياطين في النار وبئس المصير.. لكن بعد قليل أيقن أن الوضع مختلف تمامًا.
الساعة لم تحن بعد.
والنار لم تفتح أبوابها بعد.

ولكن ما هذا الجحيم إذن؟ سرعان ما عرف من «ليليث»، تلك المخلوقة البشعة، أنها في منزلها، وأن تلك الكائنات التي ظنَّها الزبانية، ما هم إلا أولادها.

- أنا أم الشياطين، وكدت أن أكون أم البشر.

نظر لها ووجد نفسه عاجزًا عن الكلام.. فالجو حارق والحِمَم تفوح حوله.. إنه في الجحيم فعلًا.. وهي تنظر له في برود، وأولادها حوله يشاهدونه كأنه سجين يعترف أمام القاضي بخطيئته التي جزاؤها الإعدام بلا أدنى شك.

عجز عن الكلام.. فتابعت ما كانت تقوله:

- كدت أكون أمك.. وزوجتك يا «آدم».

قسمًا بربي لست بـ«آدم».

والله لست «آدم».

نظر لها منتظرًا تلك الصيحة التي ستذهب به إلى مكان آخر أقل رأفة من هذا المكان.. هذا الجحيم.. لم ينطق بحرف إلى الآن، ولكنها ما زالت تنظر له في برود، فهي لم تنتظر منه ردًا.. هو أقل من أن يرد على يد «إنانا».. أم الشياطين.. الإلهة.. كلها مسميات لها هي، ويبقى الاسم فوق كل الأسماء: «ليليث» أو «ليليتو».

- ألا تريد أن تعرف ماذا سأفعل بصاحبَيك؟

أخرج هذا السؤال «وحيد» من هذيانه الداخلي.. ماذا تقول هذه المجنونة؟ أحس بالضياع فور سماعه تلك الطلقة التي أطلقتها.

تلك الطلقة التي أطلقتها الشيطانة بدم بارد.. هذا إن كان للشياطين دماء!

أخيرًا نطق «وحيد»، وكان رده قويًا بالنسبة لوضعه هذا.. قالها بتحدٍّ أقرب ما يكون إلى تهديد صريح لها:

- إن مسستِهما بسوء فسوف...

- ماذا ستفعل يا أضعف المخلوقات؟

- هراء.

- وهل هذا الجحيم هراء أيضًا؟
نظر إلى المحيط حوله فوجده.. النار والجحيم، كما يجب أن يكونا.

* * *

الساعة ٧:٣٥ مساءً

الشارع مظلم.. أضواء أعمدة الإنارة مظلمة.. الهدوء في المكان جعله كالقبور الصامتة الخالية من الحياة والمليئة بالجثث المتعفنة التي يأكلها الدود.. يقف «سامح» و«مازن» في وسط هذا الظلام وحدهما.. يبدأ «مازن» بالحوار قائلًا:

- لا أثر لهما.

يهز «سامح» رأسه موافقًا على كلامه، ثم ينطق قائلًا:

- لديَّ فكرة.

- ما هي؟

- «وحيد» كان يعرف عددًا كبيرًا من الفتيات، ربما يعرفنَّ أين هو.

- لا أعتقد.. فأبوه أيضًا مختفٍ.. كما أنه من المستحيل معرفة من هن هؤلاء الفتيات.

قام «سامح» بحك ذقنه مفكرًا.

- لا حل إذن سوى أن ننتظر الشرطة لتجدهما، وأتمنَّى من الله أن تجدهما.

- أتمنَّى ذلك.

- والآن لماذا نحن في هذا الشارع الموحش؟

- الكهرباء منقطعة يا صديقي بالتأكيد.

يسيران ليخرجا إلى شارع مضيء.. أثناء سيرهما ظنَّا أنهما الوحيدان اللذان يسيران في هذا الشارع وقد أخطآ تقديرهما، فهناك شبح يسير من بعيد مقبل نحوهما.. اقترب هذا الشبح الذي كان يلبس معطفًا يخفي جسده والقليل من الرأس.. مرَّ بجانبهما وبعد خطوات سمعا صوتًا.. صوتًا أنثويًا:

- إذا سمحتما.

التفتا إلى هذا الصوت الناعم وتسمرا في مكانهما.. فقد رأيا أجمل وجه رأياه في حياتهما.

- تحت أمرك.

قالها «سامح».

- مُرينا.

قالها «مازن».

- هل أنتما من هنا؟

أسرع «مازن» فكانت له المبادرة أمام هذه «المزَّة»:

- نعم من هنا.

- أنا تائهة والدنيا ليل والجو شديد البرودة.. هل من مأوى؟

نظر «سامح» لـ«مازن» نظرة كمن يقول نتركها ونغادر فأنا لا أستريح لها.. بالتأكيد عاهرة أو لصَّة تستدرجنا لسرقتنا.

ولكن «مازن» لم يفهم تلك النظرة فأسرع في الحديث:

- بالطبع، فمنزلي تحت الخدمة.

وجد «مازن» أنه لا يمكن أن يضيِّع هذه الفرصة من يده، فالفتاة غاية في الجمال.. بيضاء البشرة، خلابة تقاطيع الوجه، ابتسمت في خجل وشكرته وسارت معهما، أما «سامح» فقد عقدت لديه النية على ترك هذين الحبيبين الجديدين ويرحل.

* * *

الساعة: ٨:١٥ مساءً

الأجواء تثير الشهوة في الغرفة بشقة «مازن»، خصوصًا بوجود تلك الفتاة اللذيذة التي تعرَّف عليها منذ نصف ساعة فقط تقريبًا في أحد الشوارع عندما كان بصحبة «سامح»، «سامح» الذي قام بالاستئذان منهما والرحيل وقتها.. وهنا قادها «مازن» إلى منزله الفارغ من الحكومة «أبوه وأمه».. أدخلها غرفته وشمَّ شذاها فطار لبَّه إلى القمر في جولة، سال لعاب الرغبة

من شدقيه، فقد كانت شهوته هذه مخبأة منذ أيام، حيث لم يجد من تثيرها إلى أقصى مداها.. والآن وجد من تعبث بقوة في هذه الشهوة لتطلقها من سجنها.. تلك القشدة البلدي الجالسة على سريره. مرر عينيه على كل تفصيلة في جسدها الخالي من جميع ملابسها، محاولًا أن يستوعب كيف خلعتها كلها هكذا بمنتهى السرعة في استسلام استعدادًا للحظات شديدة المجون.. أيقن أنها في الحقيقة عاهرة، لم تأتِ لطلب مأوي، بل لطلب من يشبع غريزتها وردد في نفسه:

- وأنا مَن يشبعها.

لم ينتظر طويلًا ولم يتحمَّل أمام هذه القشدة.. فكيف يضيِّع وقته.. وهي لم تقاومه بل استسلمت له.. خلع «تيشيرته وسرواله وبوكسره» وغاص معها تحت البطانية البيضاء.. أخذ السرير يهتزُّ من عمق النشوة حتى هدأت الحركة قليلًا لكنها ما زالت مستمرة.. وأصبح اللون الأحمر لون وجه البطانية الأعلى.. خرجت تلك الفتاة من تحت البطانية لتجلس على السرير وعلى فمها آثار دماء.. ثم قامت برفع الغطاء عن «مازن» ليظهر جسده شاخص العينين يتألم ويرفس بقدميه كخروف ذُبح للتو.. كان عنقه ينقصه قطعة، بالتأكيد قامت بأكلها.

قامت من على السرير لتخرج خارج الغرفة تاركة جسد «مازن» كما هو.. عادت بعدها وفي يدها سكين وجلست بجانب «مازن» ووضعت يدها الجميلة على رأسه وقامت بشد شعره ووضعت السكين وبدأت في الذبح.

* * *

الساعة: ٨:٣٠ مساءً

ترن ترن..

رنَّ الجرس فأسرعت سيدة بدينة في العقد الخامس من عمرها لتفتح الباب.. فظهرت أمامها فتاة خارقة الجمال تمسك في يدها شنطة جلد كبيرة تبتسم لها قائلة:

- مساء الخير.
- مساء النور؟
- «سامح» موجود؟
- موجود يا ابنتي.. أقول له مَن؟
- قولي له«نوال» زميلته في الكلية.
- تفضلي ادخلي.
دخلت الفتاة وجلست.. ودخلت تلك السيدة لتبلغ «ابنها» عن وجود تلك الزائرة، وسرعان ما عادت «أم سامح» لتدخلها الغرفة.. وما إن رآها «سامح» حتى فتح فمه في دهشة.. قالت الأم:
- سأترككما.. ماذا تشربين؟
- أشكرك يا تانت.
خرجت الأم تاركة «سامح» واقفًا أمام تلك الفتاة.. وفي عقله مئات الأسئلة:
كيف عرفتِ منزلي؟
من أنتِ؟
- ألم أتركك مع «مازن»؟ لماذا حضرتِ إلى هنا؟
ولكنه فوجئ عندما وجدها تبتسم في رقة مصطنعة قائلة:
- من يسأل لن يتوه يا «سامح».
- من أنتِ؟
- أنا تلك المرأة التي تطلب مأوى.
- ألم تذهبي مع «مازن»؟
- بلى، ذهبت معه.
- إذن فلماذا؟
وضعت تلك الشنطة الجلدية الشبيهة بشنطة السفر، ثم جلست عليها، وقالت:
- أبدًا.. اضطررت أن أغادر ولكن «مازن» ترك لك شيئًا ما أوصاني بإعطائك

إياه.

- «مازن»؟

- ألا تصدق؟

قامت من على الشنطة وانحنت وأخرجت شيئًا من الشنطة.. ثم رمته نحو «سامح» الذي نظر إلى هذا الشيء.. فصعقه ما رآه.

رأس مقطوع؟

رأس «مازن» شاخصة النظر متألمة الملامح!

نظر للرأس في ذهول، ونظر إلى تلك المرأة التي تقترب منه شيئًا فشيئًا.. وقد أخرسه المنظر المرعب فأصبح لا يقوى على الكلام أو الصراخ.. اقتربت منه وابتسمت في رقة مصطنعة مرة أخرى:

- تريد أن تعرف من أنا؟

ما زال الرعب والذهول يسيطران عليه.

- أنا اللعنة التي حلَّت بصديقكما.

لم تترك له الفرصة، فسرعان ما أخرجت السكين من جيب المعطف وبسرعة مهولة وجهته ضاربة نحو رقبته أفقيًا.. ضربة كانت كافية لسقوطه على الأرض غارقًا في دمائه ينازع روحه.

قطعت الرأس الثاني ووضعته في الشنطة.. وذهبت نحو شرفة غرفة «سامح» فانفتح باب الشرفة تلقائيًا.. وتحوَّلت في التو واللحظة التي تلك الشيطانة البشعة.. وطارت بعيدًا.

وانغلق باب الشرفة.

* * *

الساعة: ٨:٥٠ مساءً

الصراخ والعويل يملآن المكان.. هذه الشقة تحوَّلت إلى مكان حيوي تجمَّع بداخلها الجيران والشرطة والمباحث والإسعاف.. الأم جالسة على الأرض تلطم خدَّيها وتصرخ.. وحولها مسرح الجريمة.. الشقة هي مسرح الجريمة.. تقوم

المباحث باستجواب الجيران خارج الغرفة التي تمت فيها الجريمة، فمنهم من قال:

- فجأة سمعنا صراخ «أم سامح» فأسرعنا فوجدنا هذا المشهد.

وعندما سألوا حارس العقار قال:

- صعدت فتاة تقول إنها زميلة أستاذ سامح، ولم أرها تغادر قط.

بدأ الشك في أقوال هذا الحارس.. فتاة صعدت الشقة تقول إنها زميلة «سامح» ولم تغادر؟ إذن أين ذهبت؟

سألوا الجيران جميعًا ولم يتوصلوا إلى شيء.. وطبعًا كان الوقت غير ملائم لاستجواب الأم المنهارة.. ولذلك أصبحت غرفة «سامح» مليئة بالمباحث والشرطة والطب الشرعي.. إلخ.. إلخ. كانوا جميعًا في حيرة من لغز جثة شاب مقطوع الرأس.. والرأس اختفى!

الرائد «إبراهيم» منحنيًا جالسًا ناظرًا نحو الجثة.. ووراءه الملازم أول «علي» يقول له:

- الجثة لشاب في الـ٢٥ من عمره، اسمه سامح سعد يا أفندم.. طالب في كلية الحقوق بجامعة عين شمس.. من التحريات التي أجريناها في الدقائق الماضية عرفنا أنه قام بزيارة قسم «الوايلي» اليوم الساعة الواحدة ظهرًا هو ومازن عبد الفتاح، وقاما بعمل بلاغ حول اختفاء زميلهما وحيد سعيد، ووالده سعيد ناصر.

ما زال الرائد «إبراهيم» منحنيًا ناظرًا الجثة يتفحصها بنظره، ثم قال:

- امممممم.. اختفاء وجريمة قتل.. اعرفوا لي عنوان منزل صديقيه «مازن» و«وحيد».

- تحت أمرك يا أفندم.

قام الرائد «إبراهيم» من جلسته، وأمر بتغطية الجثة، وخرج من الغرفة وسط زحام الجيران.. وعويل ولطمات الأم البائسة، فانحنى لها حتى جلس على الأرض أمامها، وقال:

- البقاء لله يا حاجة.. أتمنَّى أنك تساعدينا لمعرفة القاتل.. من آخر شخص رآه «سامح»؟

استمرت في البكاء ولم تجاوب.. ناداه رجل مباحث من الخلف بزي مدني عادي.. فقام إليه وهمس له الأخير في أذنه بشيء.. تغيرت ملامح الرائد «إبراهيم» ودار بينهما حوار قليل جدًّا، ثم عاد للجلوس أمام «أم سامح» وقال لها:

- يقول حارس العقار إن هناك فتاة دخلت الشقة ولم تخرج.. أين ذهبت؟

نظرت له الأم في ذهول وقد عرفت مَن قتل ابنها، تعرف شكلها حق المعرفة إنها «نوال» زميلته.. سمعوا صوت ذلك الرجل وهو يقول:

- لم نجد أي بصمات يا أفندم في الغرفة.. باب الشرفة مغلق، كما كان قبل الجريمة تقريبًا.

أذهله ما سمعه أكثر.. اقترب من تلك الأم البائسة اليائسة الباكية، وقال:

- هل لكِ أن تصفي لنا مظهر تلك الفتاة؟

ما زالت الأم على وضعها تبكي وتصرخ وتلطم من شدة حسرتها على ولدها.. لم يشأ الرائد «إبراهيم» أن يضغط عليها أكثر، فربت على كتفها وقام ينظر حوله فرأى الملازم «علي» وهو يقترب منه قائلًا:

- عرفنا عناوينهم يا أفندم.

أسرع الرائد «إبراهيم»، وبينما يخرج من الشقة قال لرجال المباحث والشرطة والإسعاف:

- قوموا باللازم.. تعالَ معي يا «علي» وأحضر معك عددًا من رجال الأمن.

وسرعان ما غادروا الشقة.. تاركين موقع الجريمة في مهمة تبدو شاقة.. شاقة جدًّا.

* * *

الساعة: ٩:٢٠ مساءً

على الباب هناك لافتة صغيرة مكتوب عليها «عبد الفتاح الدرنديلي».. أمام

الباب يقف الرائد «إبراهيم» والملازم «علي» ومجموعة من رجال الأمن في انتظار أن يفتح لهم أحد الباب.. نفد صبر الرائد «إبراهيم»، فأمر الرجال بكسر الباب، وتمت العملية بنجاح ليدخلوا في وسط دهشة الجيران لوجود رجال الشرطة.. دخل «إبراهيم» ورجاله يبحثون عن أي شخص في المكان، إلى أن دخلوا غرفة «مازن» وفاجأهم المنظر.. السرير غارق في الدماء وفوقه جثة شاب في مثل سن «سامح» مقطوع الرأس والعضو الذكري أيضًا.. أصاب الرائد «إبراهيم» الذهول فاقترب من الجثة.. ثم التفت إلى الملازم «علي» قائلًا:

- أبلغهم بأننا أمام جريمة قتل أخرى.

خرج الملازم «علي» من الغرفة مسرعًا، وفوجئ بالجيران المندهشين لما يحدث، الذين اندهشوا أكثر عندما رأوا تلك الجثة الغارقة في الدماء، فزاد الضجيج والصراخ والكلام.. دقائق وجاءت عربة الإسعاف مرة أخرى ورجال المباحث والضباط والطب الشرعي.. الرائد «إبراهيم» واقف أمام الجثة يفكر.. هل هذه جرائم قتل متسلسلة؟

قاطعه «علي» الذي قال:

- ما رأيك يا أفندم؟

- إننا إذن أمام تفسير واحد.

- وما هو؟

- قال لي حارس العقار بمنزل «سامح» إن هناك فتاة.

ثم صمت وقال لرجال الأمن حوله:

- أحضروا لي حارس عقار هذه العمارة فورًا.

دقيقة ودخل حارس العقار، وما إن رأى منظر الجثة العارية الممزقة حتى أشاح بنظره في اشمئزاز.. شعر «إبراهيم» بوجود الحارس، فقام إليه وهو ينظر في ساعته قائلًا بسخرية: - متأسفين لإيقاظك من النوم.

- ماذا حدث يا بيه؟

- هل رأيت آخر شخص دخل إلى هنا؟
- نعم.. منذ ساعات قليلة صعد أستاذ «مازن» ومعه فتاة صغيرة في السن و...
قاطعه الرائد «إبراهيم»:
- صف لي هذه الفتاة.
- لم أتبين ملامحها مع الأسف.
- امممممم.
عاد الرائد «إبراهيم» لينظر نحو الجثة المسجاة فوق السرير.. سأله الملازم «علي»:
- هل هناك من تفسير؟
- نفس الفتاة التي قتلت «سامح» هي التي قتلت «مازن» وبنفس الطريقة، ولكن هناك اختلافًا بسيطًا.
- وما هو؟
أشار الرائد «إبراهيم» إلى مكان العضو المقطوع، قائلًا:
- هذا الجزء.. وسيبلغنا الطب الشرعي بتفاصيل هذا.
نظر الرائد «إبراهيم» حوله فوجد المكان مزدحمًا.. الجيران بالخارج يسترقون النظر نحو الجثة في حزن وأسى.. ابتعد «إبراهيم» آمرًا:
- غطوا الجثة.
هنالك سمع ضجيجًا بالخارج.. والدا «مازن» عادا إلى المنزل وعندما وجدا ذلك الحشد من الناس أمام شقتهما أسرعا بالدخول إلى الشقة ومن ثم إلى الغرفة ففوجئا بالجثة، فأطلقت الأم صرخة مدوية وأغمى عليها.. وانطلق الصراخ بعد ذلك من الجيران والمتعاطفين مع الأسرة المنكوبة.
وجد الرائد «إبراهيم» نفسه أمام خيار واحد ليس له ثانٍ، وهو البحث عن القاتلة، وعندما خرج من الغرفة وأصبح وسط الصراخ والعويل وجد الملازم «علي» يقترب منه قائلًا:

- هناك سؤال لم أجد له تفسيرًا.
- وهو؟
- لماذا قطعت القاتلة العضو الذكري للمجني عليه «مازن»، ولم تفعل الشيء نفسه مع «سامح»؟
- سيبين لنا الطب الشرعي ذلك.. والآن ما هو عنوان «وحيد»؟ ذلك الشاب المختفي؟
- نعم.
- مكتوب هنا.

أظهر له ورقة بها العنوان.. فقال الرائد «إبراهيم» حينها:

- أنت ستذهب معي يا «علي».
- تمام يا أفندم.

خرج من الشقة بعد ما أعطى التعليمات باتخاذ اللازم تجاه مسرحَي الجريمة.. أسرع نحو منزل «سعيد ناصر» لعله يجد تفسيرًا لكل هذا.. ذهب هو و«علي» من دون أي شخص آخر يبحثان عن لغز عجيب.. وقاتلة ظهرت واختفت من دون أن تترك أي أثر.

-١٨-

لم يدرِ «وحيد» كيف نام في هذا الجحيم.. بالتأكيد أصابه الإغماء؛ لأنه من المستحيل أن ينام وفقًا لوعيه..نام والآن أفاق فجلس لينظر حوله في اتجاه نظره فوجد نفسه وحيدًا.. في فوهة البركان هذه -كما تخيلها.. يتساءل سؤالًا لم يحاول أن يجد له إجابة.. فعقله الواعي أصبح مشلولًا:

أين اختفت تلك الملعونة؟

نزل بنظره تحت بجانب قدميه فوق تلك الصخرة.. وتساءل: هل اتسعت الصخرة؟! أم انحسرت عنها الحِمَم؟ لم يدم تساؤله كثيرًا، فسرعان ما رأت عيناه، وأطلق صرخة رعب وحزن.. لقد حققت الشيطانة وعيدها.

«سامح» و«مازن».

لقد فعلتها الملعونة!

نظر إلى أجزائهما في فزع.. رأس «سامح» و«مازن» ذاتي العيون الشاخصة، التي تذكرانه برأس أبيه، ورأس الرجل البابلي القديم!

- آسفة يا «آدم».. لم أقصد إزعاجك برأسي صاحبيك.

أنصت جيدًا إلى صوتها قبل أن يرفع بصره إليها فوجدها هناك تنظر له في برود.. قام من جلسته، وقال لها كمن يفيض به.. صارخًا:

- من أي درجة في الجحيم أنتِ أيتها العاهرة؟
في برود تام ردت:
- من الدرجة التي ستكون فيها يا عزيزي.
تصنَّع الغباء أمام هذه المعتوهة، وردَّ عليها قائلًا:
- رحمة الله واسعة.
- أتتحدث عن الله ثانية؟ أنت لم تعرفه.
- هراء من شيطانة ملعونة مثلك.
- لو تعرفه يا «آدم» لما فعلت ما فعلته.
ثم صمتت فتحولت نبرة صوتها كمن أخطأ في التعبير، فأردفت قائلة:
- أو كنت تعرفه من قبل وابتعدت عنه وأصبح في طي النسيان.
نظر لها متسائلًا عما أردفته من كلمات.. فهل من شخص ينسى ربَّه؟ لعن نفسه ألف مرة عندما أيقن أنه يتحدث الآن عن الله مع شيطانة ملعونة.. زوجة لوسيفر.. إبليس، أيًا كان اسمه.. تجاهلت صمته وأكملت ما بدأته من المحاضرة التي تلقيها عليه في الجحيم.. إلا أنها سوف تذكِّره بأيام نسيها عبر الزمن.
- كنت تعرفه.. كنت إمام مسجد بجانب منزلك منذ ست سنوات.. كنت تصلِّي.. تعطي لأصدقائك السابقين دروسًا في الدين قبل أن تتخلى عنهم عندما اختلطت بـ«مازن» و«سامح».. تلك الدروس التي سمعتها لـ«محمد حسَّان» و«محمود المصري» لتحفظ ما تقوله لأصدقائك قبل مباراة كرة القدم الأسبوعية.. أنت كنت تعرف الله، ولكنك الآن تجاهلته.
كانت تتحدث وتعرض عليه تاريخه القديم.. ماضيه الذي نسيه تمامًا في غمرة جريه وراء شهوته، كان ينصت لها وهو في ذهول تام، فكيف لها أن تعرف عن ماضيه كل هذا، هو فعلًا كان قريبًا من الله، ولكنه الآن بعيد ملعون.. أصابته لعنة يستحقها عن جدارة.
لعنة مع مرتبة الشرف.

وسيعلم الجمع والعالم بأنني ملعون، وما للعنة من تعريف سوى أنها خُلقت لتصيبني.. فعليَّ اللعنة! قرأت أفكاره واستغلت ما هو فيه، وقالت:

- عرفت الآن لماذا أنت مخلوق ضعيف؟

رمتها لتتوغل الكلمة في صدره فيسقط قتيلًا.. رمتها بسرعة تفوق سرعة الضوء، شعر بضعفه فعلًا فهي محقَّة.. صدقت وهي كذوبة.. تمامًا كمن علَّم الصحابي أن يقرأ آية الكرسي قبل أن ينام، ثم اكتشف فيما بعد أنه كان يعلِّمه الشيطان نفسه.

أفاق من سؤالها الذي توغل في صدره ليمرَّ عبر قفصه الصدري ورئتيه ويخرج من حبله الشوكي من الخلف.. عندما قالت له:

- رد يا «آدم».

- بِمَ أرد؟

قالها وهو شِبه غائب عن الوعي.. نظر إلى رأسي صديقيه وعضو «مازن» المهتوك عرضه، بجانب قدميه في شرود.. ثم تلاها بـ«تبًا لي.. عليَّ اللعنة».

* * *

الساعة ١٠:٠٣م

فوق سرير واسع يرقد شخص ما ملفوفًا ببطانية.. النافذة يتسلل من خلالها ضوء الشارع الذي يحب زيارة جميع البيوت من دون استئذان في هذه الأوقات.. تدخل سيدة في منتصف الخمسينات من العمر.. تسرع نحو هذا الراقد وتقول:

- «هشام».. يا «هشام».

في ضجر رفع «هشام» الغطاء من عليه وقال:

- يووووووه..نعم يا أمي.

- استيقظ..هناك قلق في الشقة اللي فوقنا.

- ماذا هناك؟

- قلق بخصوص اختفاء «سعيد» جارنا وابنه.

يجلس «هشام» على سريره ويمسك كاميرته الموضوعة بجانبه على الكومود، قائلًا:

- وماذا حدث؟

- لا أعلم.. قم بتغيير ملابسك واصعد لتتبين الأمر.

قام «هشام» لتنفيذ ما قالته أمه.. ذلك الشاب في منتصف العشرينات، أكبر قليلًا من «وحيد».. كاميرا التصوير الفوتوغرافية بالنسبة له هي حياته.. هوايته الأولى والأخيرة.. حبُّه للتصوير جعله إلى الآن منذ تخرجه لا يريد أن يعمل سوى مصوِّر فوتوغرافي.. لذلك فهو كثيرًا ما يتوغَّل في الشارع بحوزة كاميرته لينتهز فرصة ما للتصوير ويقوم بعرض تلك الصور على المجلات والصحف، ولكن لم يحالفه الحظ حتى الآن.

فقير جالس في الشارع.

وردة عليها قطرات الندى.

حبيبان من ظهرهما على كوبري قصر النيل.

والكثير والكثير من الصور.. يفتخر كثيرًا أنه عاطل عن العمل للتفرغ لهوايته العجيبة، التي يأمل أن تكون مهنته.

قام بتغيير ملابسه وأخذ معه الكاميرا عفويًا -من كثرة تعلقه بها- وصعد إلى الدور التالي، فرأى حشدًا من الناس يراقب ما يحدث في الداخل باستغراب.. عددًا من ضباط الشرطة والمباحث ورجال الأمن المركزي والطب الشرعي.. إلخ.. إلخ. همَّ بالدخول فاستوقفه رجل أمن، مشيرًا إلى الكاميرا المربوط حبلها حول رقبة «هشام»:

- ممنوع الصحافة.

- لا أنا لست صحفيًا.. أنا جار.

حاول اختلاس النظرات لما يحدث داخل الشقة.. لم يتبين له الأمر.. ألقي سؤالًا على رجل الأمن:

- ماذا يحدث بالداخل؟

- جريمة قتل.

- نعم.. مَن؟

لم يرد رجل الأمن.. تبًا لرجال الأمن نفر نفر.. عاد إلى حيث جاء ليزف لأمه الخبر، قائلًا:

في عمارتنا قتيل.

* * *

الساعة: ١٠:١٥

يجلس الرائد «إبراهيم» وحوله مجموعة من رجال المباحث الجنائية والطب الشرعي الذين وصلوا منذ قليل في المطبخ أمام باب الثلاجة المفتوح.. وهذا الجسد المقطَّع إلى أشلاء يرقد.. عينا «سعيد ناصر» تنظران لهم.. وجسده المقطَّع موضوع بعناية مجرم سادي صاحب مزاج عالٍ.. الطب الشرعي يعاين الأشلاء ويخرج الجثة من الثلاجة بطريقته الخاصة.. رجال الطب الشرعي يتفحصون البصمات، والمباحث الجنائية تجوب المكان لتستجوب الجيران.. يجلس الرائد «إبراهيم» يتابع كل ما حوله في المطبخ، ويقف خلفه الملازم «علي»، الذي قال في ملل:

- هـذه ثالث جريمة قتل نكتشفها هـذا المساء، وواضـح أن القاتل واحد.

- وجدنا الأب.. أين الابن؟

- بحثنا ولم نجد له أثرًا.

هرش «إبراهيم» رأسه في حدَّة وهو يقول:

- أعتقد أننا يجب أن ننتظر تقرير الطب الشرعي في الجرائم الثلاث لعلنا نصل إلى خيط نبنى عليه بحثنا، أكاد أجنُّ.. لماذا وجدنا رأس «سعيد»، في حين لم نجد رأسي «مازن» و«سامح»؟

- ربما القاتلة تحب رؤوس الشباب أكثر.

لم تعجبه دعابة الملازم «علي» فتجاهلها.. فهذا ليس وقت الدعابات.. ثلاث

جرائم قتل في مساء لم يذق الرائد «إبراهيم» فيه طعم الراحة.. قام ليخرج من مسرح الجريمة، آمرًا مَن حوله، للمرة الثالثة على التوالي، باتخاذ اللازم، وهو يتساءل:
أي قاتلة هذه؟

* * *

حيث الجحيم (Organic).. يقف «وحيد» شارد الذهن وقد تكاثرت حوله الشياطين.
ربِّي متى تنتهي هذه اللعنة.. هل اللعنة بداخلي أنا! هل خُلقت بها؟!
لقد فتحت «ليليث» بداخله الماضي الذي جاهد كثيرًا كي ينساه.. فقد كان من أشد الملتزمين تقرُّبًا إلى الله إلى أن حدث وتعرَّف على «مازن»، الذي سرعان ما انجرف وراءه لمقابلة الفتيات، ومن ثم الجنس.
الجنس.. ج.. ن.. س.. كلمة ملعونة من ثلاثة حروف.. كانت تحوي الكثير من المعاني بالنسبة له، أبسطها كانت المتعة والنشوة والسعادة والهرب من هموم اليوم بالارتماء بين أحضان فتاة لم يخلقها الله بعيب يُذكر، أو كما تبدو لعينيه.. فتاة «تحل من على حبل المشنقة».. يجاهد في أحضانها كجهاد الجنود في الحروب إلى أن يسقط بجانبها بعد ما يُفرغ ما بداخله.. يشهق ويزفر، وعندما تقوم تلك الفتاة وترحل.. يقوم بالبحث عن أخرى وأخرى وأخرى.
الجنس حيث المتعة التي يحصل عليها مقابل مبلغ من المال لا يهمُّه، ففي النهاية هو يغترف ليروي شهوته التي لا ترتوي مقابل هذه الجنيهات.
هذه الملعونة فتحت له بابًا سعى لإغلاقه.. معرفة الله ومن ثم تجاهله له، اعترف بشدَّة أنه تجاهل الله، ولكن كانت له أسبابه لينجرف وراء «مازن» نحو الفتيات.
ثم تذكَّر كيف تعرَّف على «سامح»، هذا الشاب المجتهد في الدراسة، الذي لم يطاوعه قلبه للانجراف مثلهما مع الفتيات.. عندما رآه أول مرة في الجامعة

كان هادئًا يمقت الناس ويحسدهم.. فلّما وجده يحاور فتاة.. تعرَّف عليه وحاول سحبه إلى سكة الفتيات، ولكنه لم يقتنع، فتركه يندمج معه ومع «مازن» لعله يتخذ سبيلهما في يوم ما.. ولكن «سامح» لم يفلح في السير في ذلك الطريق، فهو في الأول والآخر خاطب لفتاة، وفي النهاية أصبح «سامح» صديقهما المجتهد الذي يغششهما في الامتحان، على الرغم من أنه أصبح يهرب من الذهاب إلى الكلية ليجلس معهما على الكافيه، وبناء على هذا كان «وحيد» متعلِّقًا بـ«مازن»، تلك اليد التي ساعدته في مقابلة الفتيات والاختلاط بهن في بادئ الأمر قبل أن يتذوق بمجهوده الشخصي مذاق أول مغامرة جنسية له؛«جانيت»، آه على جسدك يا «جانيت».. هذا الجسد المطلي بلون الشاي بالحليب الفاتح.. وتفاصيله المثيرة.. تذكَّر كيف كانا في السرير يتأوهان في لذة.. هذا الإحساس الذي ملأه بالنشوة فأدمنه منذ ذلك اليوم، «جانيت» التي تصادف أن يكون إحساسه بالشره تجاه العلاقة المحرَّمة على يديها هي.. ففور أن انتهت نشوته معها ذهب ليبحث عن فتاة أخرى، ومن ثمَّ الفتاة التي تليها.. وعلى الرغم من أن «جانيت» ظلت تحاول الاتصال به، ولكنه لم يرد عليها إلى أن اختفت، ولم تعد تتصل منذ فترة ليست ببعيدة.. اختفت وما زال يقدِّس جسدها واسمها.

تساءل: ما هذا الذي يراود عقلي بحق الجحيم؟!

- أتحب أن أقول لك ما الذي يراود عقلك؟

نظر إلى تلك الملعونة وقد سحبته بشدة من أفكاره.. فلها جزيل الشكر إذن.

- لم تجد نقطة دم واحدة بوجهك لتواجهني بها يا «آدم».. أليس كذلك؟

- ليس العيب أن يخطئ البشر، ولكن العيب أن يتمادوا في الخطأ.. ففيه هلاكهم.

وجد «وحيد» نفسه يخرج من هذيانه.. وأفكاره الملعونة.. ووسواسه القهري.

- ما الخطأ الذي فعلته، وأبي فعله، وصديقاي فعلاه؟

- لولا خطؤك يا عزيزي لما فعلت بهم شيئًا.

ركل شيئًا بقدمه ظنَّها طوبة.. ولكنها رأس آدمي، مع الركلة طار نصف متر فوق الأرض حتى سقط.. هل سقط في الجحيم؟

«ماااااااااازن».

بكل برود ابتسمت له «ليليث».. وسط شياطينها الذين ينظرون في شغف منتظرين من أمهم إشارة لينقضُّوا عليه.

- هذا جزاؤك يا «آدم» أنت وبنو جنسك.

* * *

نسي «هشام» شأن جريمة القتل التي حدثت في العمارة، وطمأن الأم المؤمنة بالأرواح الشريرة أن لا توجد أرواح شريرة من الأساس.. نسى شأن الجريمة وقضى يومه في سلام.. وفي اليوم التالي طرق أحدهم الباب.. فتحت الأم الباب، كان الطارق رجلًا مرتديًا ملابس الشرطة وحوله شخصان:

- هذا منزل هشام ناصر أبو الوفا؟

- نعم إنه ابني.

- أين هو؟

- في الداخل، ولكن لماذا يا حضرة الضابط؟

- نريد استجوابه في قضية الشقة التي فوقكم.. واستجوابك أنت أيضًا يا حاجة.

- لحظة واحدة، تفضلوا.

دخلت لتنادي «هشام» الذي سرعان ما ارتدى ملابس تليق بهذه المقابلة.. خرج ليجدهم جالسين في الصالة.. استقبلهم، وجلس معهم فعرف الضابط على نفسه، قائلًا:

- الرائد «إبراهيم» من قوة المباحث.

- أهلًا يا حضرة الرائد.

- أنت هشام أبو الوفا، خريج كلية الفنون الجميلة، دفعة ٢٠١٠، تهوى التصوير الفوتوغرافي، عاطل عن العمل؟ بصراحة يا سيد «هشام» أريد

استجوابك في بضعة أمور.
- تفضل.
- متى آخر مرة رأيت فيها جاركم «سعيد» وابنه «وحيد»؟
- منذ يومين تقريبًا.
- ألم تلحظ صعود فتاة إلى شقتهما؟
- لم ألحظ، ولكن لماذا؟
- عمومًا سعداء بتعرفنا عليك.. هل تسمح لنا باستجواب السيدة الوالدة؟
- طبعًا.
قام «هشام» لينادي أمه.. وسرعان ما غادر الضابط ومَن معه بعد ما قالوا لـ«هشام» ووالدته بأن يمرَّا على القسم لاستكمال بعض النقاط في الاستجواب.. ومرَّ اليوم بعد ذلك في سلام بالنسبة لـ«هشام».
وفي اليوم التالي، ذهب برفقة والدته إلى القسم، فجلس «هشام» أمام الرائد «إبراهيم» الذي سأله:
- أعيد عليك السؤال بصيغة أخرى: هل حدث ورأيت فتاة تدخل على وجه التحديد شقة «سعيد» وابنه «وحيد»؟
- لا لا أتذكر يا أفندم.. ربما نعم منذ مدة.
- مدة طويلة أم قصيرة يا «هشام»؟
- لا أتذكر جيدًا.
وهكذا دار الاستجواب.. فـ«هشام» لا يعرف شيئًا عن «وحيد» و«سعيد» سوى أنهما جيرانه عندما يقابلهما على السلَّم يلقي عليهما السلام وفقط.. إنما اختلاط بهما لا لم يختلط.
رحل عن القسم.. وما زال «هشام» يفكِّر في تلك القضية.. جاره قُطع رأسه وجسده، وابنه اختفى فجأة! ليلتها قرر أن ينسى الحادث الذي دار ويعود إلى حياته، فالشرطة لم تعد تستجوبه هو وأمه إلا في حالة معرفة أي شيء جديد عن الحادث.

فكَّر.. مَن يكون القاتل؟ ولماذا سأله الضابط إن كانت فتاة قد زارت بيت «وحيد» أم لا؟ أعاد قراءة التحقيق الذي نُشر في الجرائد في اليوم التالي لحدوث الجريمة بشأن صديقَي «وحيد»، فعرف أن حرَّاس العقارات يؤكدون أن آخر من تردد على منزلَي «مازن» و«سامح» كانت فتاة.. تُرى مَن تكون تلك الفتاة؟

حاول تذكُّر تلك الفتاة التي جاءت إلى منزل «وحيد» من مدة.. كان من الصعب عليه تذكُّر ملامحها.. لم يتذكر سوى أنها كانت رائعة الجمال.. رآها تصعد إلى شقة جيرانه.. عرف هذا عندما سمع صوت حوار دار بينهما على باب الشقة.. أغمض عينيه وحاول تذُّكر تلك الملامح.

الشعر البنِّي الحرير.. البياض اللذيذ المشرَّب بحُمرة.

وأخيرا تذَّكرها.. أخرج ورقة بيضاء وهمَّ برسمها كما تذكرها حتى يذهب بالرسمة إلى القسم.. دخلت عليه أمه:

- صباح الخير، استيقظت مبكرًا اليوم.

- صباح النور يا أمي.

- ماذا ترسم يا «هشام»؟

- إنها الفتاة.

- أي فتاة؟

- تلك التي ترددت على منزل عم «سعيد» منذ مدة، لعلَّ الشرطة تعرفها.

تُرى ماذا سيكون رد فعل الرائد «إبراهيم» ما إن يرى الصورة؟ هل ستذكِّره بأي شخص؟ سحب كاميرته ووضعها داخل شنطة جلد.. سحب حقيبته ودسّ فيهما الورقة والكاميرا ونزل سريعًا ليذهب إلى القسم.. سرعان ما وجد نفسه جالسًا أمام الرائد «إبراهيم»، الذي قال له:

- هل تذكَّرت شيئًا يا «هشام»؟

- في الحقيقة نعم، وقد جئت لمساعدتكم.

- قل ما عندك على الفور.

- تذكَّرت اليوم ملامح تلك الفتاة التي زارت منزل «عم سعيد» وقمت برسمها.

ثم أخرج من الشنطة ورقة ووضعها أمام «إبراهيم» على المكتب، فألقى الأخير عليها نظرة.. فتاة رائعة الجمال.. قالها الرائد «إبراهيم» في نفسه:

- بالتأكيد هذا الجمال لم ولن يقتل.

نظر إلى «هشام» شارد الفكر كقصيدة شعرية أفكارها وكلماتها مبعثرة، وقال:

- يا «هشام» إنها مجرد رسمة من دماغك.. وليست دليلًا أبدًا في جريمة مثل هذه.

- يا أفندم إنها نفس التفاصيل والملامح كما رأيتها تصعد إلى شقته في ذاك اليوم.

- التحقيقات لن تعتمد على رسومات من وحي الخيال.

أيقن «هشام» أن موهبته الفذَّة في الرسم، ودخوله كلية الفنون الجميلة لم يفده في حل تلك الجريمة المتعلقة بجاره.. فأخذ يسعى متناسيًا ذلك الأمر، خرج من القسم ليبدأ رحلته في التصوير.. أخرج كاميرته وبدأ:

متسول في الشارع.

بائعة المناديل.. إلخ.. إلخ.

لا يدري متى حلَّ الليل ولا كيف.. أتى الليل مغتصبًا يُظلم الأجواء.. نظر «وحيد» إلى ساعته فوجدها السادسة.. اللعنة على الشتاء.

التقط آخر صورة وهمَّ بالرجوع إلى المنزل.. باحثًا عن أي شيء يلتقط له صورة إلى أن مرَّ بذلك البيت القديم ومدخله العتيق.. مدخل يشعُّ منه عبق الماضي.. يا لها من صورة.. هكذا قال لنفسه، قبل أن يخطو داخل حوش المنزل.. يتسلل إلى جزء من الضوء النابع مصدره من ضوء الشارع.. وضع عينه على فتحة الرؤية، وضغط على الزر فخرج الفلاش.. نجحت المهمة.. نظر إلى ما صوَّره من خلال تلك الشاشة الصغيرة.. انتفض ورجع للوراء تلقائيًا.. وقف شعر جسده بأكمله.. أخذ يرجع للوراء إلى أن خرج من حوش

المنزل.. ثم أخذ يجري هربًا.
عاد إلى المنزل منهكًا.. دخل غرفته من دون أن يلقي السلام على أمه، التي نظرت له قلِقة.. أخرج كابل توصيل، وقام بتوصيل كاميرته بـ«اللاب توب».. بعدها قام بعرض الصورة.. لم يرَ في الكادر سوى شيء بشع.. يقف قريبًا جدًّا منه بحيث صوَّره الكادر من رأسه إلى أسفل كتفه.. لا ينظر للكاميرا، بل نظره متَّجه إلى شمال «هشام»، دقق فيما رآه فكان المنظر أقرب ما يكون لشيطان.. الوجه متشقق.. العيون قبيحة.. الأنياب الخارجة من الفم.
نظر في رعب متجمدًا إلى الصورة.. دخلت أمه عليه مسرعة:
- ما بك يا حبيبي؟ أفزعتني.
- أمي إنني خائف.
- من ماذا؟
- تعالي انظري.
أقبلت عليه فرأت ما رآه.. شهقت وكادت أن تصرخ.. اتسعت حدقة عينيها، وهي تقول:
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ما هذا؟
- التقطت هذه الصورة اليوم وأنا أصوِّر بيتًا عتيقًا.

* * *

يا «آدم» لا تلعب في النار.
لأننا مخلوقون منها.
داخل أعماق الجحيم ما زالت المأساة موجودة.. «وحيد» واقف مسَّه الجنون، وأخذ يتخبط داخله كالشيطان الذي يتخبط الإنسان من المسِّ.. ينظر إلى تلك البشعة الواقفة أمامه.
- أعلم أن فترة وجودك في منزلي طالت كثيرًا، ونسيت أن أعطي لك واجب الضيافة، ماذا تشرب؟
هذه الشيطانة مجنونة بالطبع.. وملعونة وهذا بديهي.. قاطعت أفكاره

بشأن جنونها، قائلة:
- سأختار لك مشروبًا على ذوقي.. أتمنَّى أن يعجبك.
صمتت، ثم أخذت من أحد أبنائها كأسين من حديد يتخلل النار بين جزيئاتهما، التفتت إلى هذا البائس، وقالت:
- اختر؛ كأسًا من حميم، أم كأسًا من غساق؟
يعلم «وحيد» جيدًا أن الحميم والغساق هما مشروبا أهل النار.. تلك النار التي خلقها الله ليعذِّب بها الخطاة.. وجعل الحميم والغساق والصديد والمهل مشروباتها.
- أعلم أنك ظمآن.. وصدقني أحد هذين المشروبين سيروي ظمأك.
ساد الهدوء، إلا من صوت الحِمَم البركانية.. وذوبان الصخور.. لم تجد ردًا من «وحيد»، الذي نظر إليها وعلى وجهه علامات البؤس والألم، كأن وجهه منحوتة معبرة لنحَّات كئيب.. فأردفت قائلة:
- عمومًا أنت الخاسر.
شربت ما في الكأسين، وأعادت الكأسين الفارغين لولدها.. ونظرت إلى «وحيد» قائلة:
- معاناة البشر يا عزيزي تحت برمجيتنا، فنحن معشر الشياطين بيدنا جهاز التحكم بكم.. خصوصًا من هم مثلك.. فإلهكم لا يحمي الفاسدين المفسدين.
الإله لا يحمي الفاسدين المفسدين؟ دخل عقل «وحيد» في متاهة بسبب هذه الجملة.. هل أفسدت؟ ماذا أذنبت؟ ماذا تقول هذه الشيطانة؟ ماذا فعلت؟ قد يكون الله لا يحمي المفسدين، ولكن ما عرفه خلال فترة تدينه أن الله يغفر الذنوب جميعًا.
- هل تظن أن إلهك يغفر الذنوب جميعها، كما تقول؟
- أعوذ بالله.
ضحكت ضحكة عالية قبيحة الملامح.. على أثرها تعالى صوت الحِمَم البركانية.. وصوت ضحكات الجمهور من أبنائها.

- نعم إلهك يغفر الذنوب، ولكن ليس بعد فوات الأوان يا عزيزي.
- أنا ماذا فعلت لكِ؟
قالها «وحيد» بلهجة صارمة.. آملًا في أن تصارحه عما فعله ليحدث له ما يحدث.
(تحقق داخل نفسك) وستعرف.
هذه اللغة العبرية مرة أخرى؟!
لم يمهل نفسه فرصة في التفكُّر بمعنى ما قالته سوى بكلمة: وستعرف التي قالتها.. لجزء من الثانية سمع أصوات صراخ من كل مكان حوله.. صراخ حاد الصوت.. كغربان تصرخ ولكن أبشع. نظر فوقه فوجد ما لا يتوقعه: طيور من نار.. تتصاعد منها النيران وهي تتخبط في همجية إنسان غاضب. تجوب أركان هذا الجحيم.. ينظر إلى «ليليث» فيراها تنظر لهم في رضا وتفتح فمها في سعادة فيرى أنيابها المتوحشة.. الطيور كانت تحوم في أجواء الجحيم إلى أن جاءت الإشارة من صاحبة المخالب البشعة، حيث رفعت يدها لفوق، ودبت بأقدام الكلب على الأرض.. فاهتز الكون حول «وحيد» وهجمت الطيور عليه، تقترب منه وتنهش جسده فيدمى، وتشتعل في أجزاء جسده نيران أجسادها.
مع صرخة أطلقها للعنان.. قبل أن يسقط على الصخرة.. والحروق تشوى أجزاءً من جسده.

-١٩-

الجحيم.. كل ما في المكان يذكِّره بالجحيم.

الحِمَم البركانية.. الصخور الذائبة.

تفصيلتان لفتتا نظره في هذا المكان البشع.. فتاة جميلة جذابة.. صاحبة جسد يسيل من أجله لعاب الرجال.. عارية الجسد تمامًا.. تقف في ركن من هذا المكان الحارق.. فتاة عرفها جيدًا.. لم يكن ليخطئ في ملامحها.. تقف تلك الفتاة وتنظر إلى جسد آخر يجلس راكعًا على ركبتيه.. لم يتبين ملامحه، ولكنه شعر بمدى البؤس الذي كان بالتأكيد يعانيه.

أما هو فكان واقفًا من بعيد يشاهد هذا المنظر والنار في كل مكان حوله.. الجو حارق بالتأكيد لا يتحمله إنسان.. يرى ما حدث من دون أن يخرج أي صوت.. لم يدرِ ما حدث إلى أن وجد قطعة من الصخر فوقه تسقط في الحِمَم، فخرج من أثر السقوط صوت لفت نظر تلك الفتاة التي يعرفها جيدًا.. فنظرت له، ثم تغيَّرت ملامحها على الفور.. ركزَّ في ملامحها، فشعر بالذعر والخوف يتسللان إلى جسده، فالذي رآه كان هذا الشيء الذي التقطته كاميرته، تنظر له وتخرج من فمها النيران.. ثم..

قام مفزوعًا من كابوسه.. ينظر حوله.. غير معقول! فغرفته تحترق.. قام مذعورًا ينادي على أمه، وما إن خرج من غرفته حتى أدرك أن الشقة لم تحترق، ولكن الحريق كان بغرفته فقط.. أسرع إلى أمه الواقفة لتصنع الفطور.. وصرخ:

- أمي.. إن غرفتي تحترق.

تركت ما بيدها من دون أن تحدثه.. وأسرعت معه إلى غرفته.. ولكن لم يكن هناك أثر لحريق.

- أين الحريق؟

- حلمت حلمًا، واستيقظت فوجدت النيران تحيط بكل شيء في الغرفة.

- إنه كابوس يا «هشام».. اجلس واهدأ.. سأجلب لك كوبًا من الماء.

- أمي.. صدقيني.

ولكنها خرجت من الغرفة، وسرعان ما أحضرت الماء.. وجلست بجانبه على السرير، قائلة:

- صدقني يا بنيَّ إنه مجرد كابوس.

- لا بد أن تصدقيني.

قام فزعًا أمام نظرات أمه.. وأخرج ورقة بيضاء وسحب قلمه الرصاص وجلس ليرسم.. تنظر له أمه قلقة.. وهو يقول:

- رأيت تلك المخلوقة في الكابوس يا أمي.

- أي مخلوقة؟

- التي ظهرت في الكاميرا.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

- ورأيت أيضًا أنها الفتاة نفسها التي زارت شقة عم سعيد منذ مدة.

- أنت مرهق يا بنيَّ.

- صدقيني.. كانت هي، ثم تحوَّلت لتلك المخلوقة البشعة.

انتهى من رسمته ثم أظهرها لأمه:

- هكذا كان الكابوس.

تنظر إلى ما رسمه، فترى النيران والحِمَم تتحرك، وعلى أرض يابسة تقف تلك المرأة الجميلة العارية وهي تنظر إلى شخص بائس يعاني:

- يا بنيَّ هذا مجرد حلم.

- لا ليس مجرد حلم، وليس كابوسًا، فالكوابيس تخلو من أتربة الحقيقة.

قام فأخرج ورقة عليها رسمة.. فتاة جميلة.. إنها الفتاة نفسها، ثم أظهرها لأمه:

- أعرفتِ أنه ليس مجرد حلم؟

- ماذا يعني هذا؟

- لا أعلم، ولكن لعلَّ الرائد «إبراهيم» يستطيع أن يفسر ذلك.

قام «هشام»، وغيَّر ملابسه، ودسَّ الورقتين والكاميرا في حقيبته الجلدية، وقال وهو يخرج من الغرفة:

- بالتأكيد سأفهم.

جلس «هشام» أمام مكتب الرائد «إبراهيم»، الذي أخذ يتفحص الصورتين.. ثم انفجر ضاحكًا وسط دهشة الأول.

- لماذا تضحك.

- أنت شخص عجيب يا «هشام».. المطلوب مني أن أربط بين مَن تخيلتها وبين كابوسك.

- بالتأكيد هناك رابط ما.

- لا إطلاقًا.. هذا شيء لا يصدقه عقل طفل وليس ضابط مباحث.

- يا أفندم...

قاطعه الرائد «إبراهيم»:

- المطلوب أن أصدِّق أن تلك المرأة هي الوحش نفسه الذي حكيت عنه، وأنها هي التي قتلت «وحيد» وأباه وصديقيه.. إذن قل لي لماذا لم نجد «وحيد» ولم نجد الأعضاء المقطوعة؟

- لا أعلم، ولكن بالتأكيد هذا الكابوس له علاقة بما يحدث.
- يا «هشام».. دعنا نترك الخرافات والكوابيس، فالمباحث والنيابة لا تعتمدان على الكوابيس.. إن كان لديك أي دليل فدعني أره.
أخرج «هشام» حقيبته وأخرج الكاميرا وفتحها، ثم أعطاها لـ«إبراهيم»، الذي ما إن رأى ما بداخل الصورة حتى سأل «هشام» وقد تغيَّرت ملامح وجهه إلى الجدِّية:
- ما هذا؟
- هذا هو الوحش الذي رأيته في الكابوس، وهذه الصورة التقطتها كاميرتي من دون قصد.
الذي رآه كان مرعبًا.. جعل القشعريرة تسري في بدنه.
مخلوق بشع.. يظهر من رأسه إلى كتفيه.
كل ما حدث في تلك الجلسة بعدها كانت محاولات من الرائد «إبراهيم» لإقناع «هشام» بأن يتخلى عن الخرافات، وأن الكاميرا بها مشكلة، ما دفع «هشام» بأن يصوِّر الرائد «إبراهيم»، ويعطي له الكاميرا، وفيها يرى «إبراهيم» نفسه بلا وحوش.
- أرأيت؟ الكاميرا سليمة.
ألقاها «هشام» مدوِّية لتجعل الرائد «إبراهيم» ينظر أمامه شارد الذهن لا يحرك ساكنًا.. فقام «هشام» وقال:
- بعد إذنك يا باشا.
وخرج من أمامه، تاركًا الرائد «إبراهيم» يعانى سكرات الفزع التي انتابته من الصورة.
عاد «هشام» إلى منزله، نافد القوى، ودخل على أمه صالون الشقة فهرعت إليه وفي عينيها ألف سؤال وسؤال لم تذكر منها سوى:
- أين ذهبت؟
- إلى الرائد «إبراهيم»، وأظهرت له الرسومات.

- وما رأيه؟
- لم يصدقني بالطبع.
بعد حوار قصير مع أمه بشأن «معمول لك عمل».. «الكابوس الذي رآه» وغيرهما.. انتهت أمه من الحوار بجملة:
- ثوانٍ أجهز لك البخور للرقية.
وقامت وتركته.. أخذ الريموت بطريقة لا إرادية وفتح التليفزيون، وأخذ يقلِّب في القنوات من قناة إلى قناة إلى أن توقف على قناة إخبارية تعرض مجموعة من صور لتمثال واحد قديم.. وشخصين واقفين.. وصورة لمطار.. وصوت مذيعة.
لقد تم العثور صباح اليوم على مخطط تهريبي لقطعة أثرية كادت تُهرَّب من مطار بغداد في الطائرة المتجهة إلى مطار القاهرة.. وبناءً عليه تم القبض على الأيدي المشتركة في هذه العملية.. تعود القطعة -كما تبين- إلى عام ألفين وتسعمائة قبل الميلاد تقريبًا.. وهذه القطعة عبارة عن تمثال «ليليث»، أو «ليليتو»، وهي شيطانة الرياح والعواصف عند السومريين. من شبكة «الأخبار حول العالم» من القاهرة.
«ليليث».. ما إن نطقت المذيعة الاسم حتى شعر بالقشعريرة تغزو جسده فتعلن الحرب. قفز من مكانه، ونظر من شباك المنور تجاه شقة «وحيد» بطريقة تلقائية.. انتبه لنفسه، وعاد مرة أخرى ليجلس على الكنبة إلى أن حضرت أمه ومعها البخور وقامت بتبخيره مع تمتمة بعض الكلام للتعوذ من الشياطين والسحر والحسد وما إلى ذلك.. انتفض عن الكنبة فظنت أمه أن ابنها ملبوس لدرجة أن الشيطان يتألم الآن من سماع القرآن.. ولكن خاب ظنها عندما رأته يندفع إلى غرفته ويسحب «اللاب توب» ويدخل على «Google».. لا يدري ما الذي حدث له في الدقائق الأخيرة، ولكن لا بد أن هناك رابطًا بين كل شيء يدور حوله.
«ليليث».

كتب الكلمة في مؤشر البحث.. وظهرت له نتائج.. وكانت النتائج مخيفة أكثر مما تكون مدهشة.. فـ«ليليث» هي شيطانة العواصف من بلاد الرافدين التي توافق الرياح فتجلب معها الموت.. ظهرت شخصية «ليليث» لأول مرة عام ٣٠٠٠ ق.م كشيطان أو روح مرتبطة بالعواصف والرياح فعرفت باسم ««ليليتو» في سومر.. كما أن التركيب اللفظي لاسم «ليليث» يرجع إلى عام ٧٠٠ ق.م في المعارف اليهودية باعتبارها شيطانة الليل أو كـ«بومة نائحة».

مرَّ بنظره في المقال لعله يجد أي معلومة أخرى، فعرف أن «ليليث» مرتبطة بالأفعى، حيث اقترن اسمها باسم أول امرأة خلقها الله لـ«آدم» قبل أن يخلق حواء قبل أن تصبح عشيقة الشيطان فيرسل الله الملائكة الثلاثة: «سينوئي» و«سنسنوئي» و«ساميجيلوف»؛ لإرجاعها، فترفض، فتوعدوها بقتل عدد من أولادها، فقررت أن تنتقم من أولاد «آدم وحواء» فتصبح فيما بعد هي الأفعى التي أغوت «آدم»، كما في الكتاب المقدَّس اليهودي.

وعرف أيضًا أن هناك نقوشًا في الآثار البابلية (مكتبة آشور بانيبال) وضَّحت أصول «ليليث»، البغي المقدَّسة، يد «إنانا»، التي أُرسلت من قِبل الإلهة «إنانا»، الأم الكبرى، كي تغوي الرجال في الطريق، وتقودهم إلى معبد الإلهة؛ حيث كانت تُقام هناك الاحتفالات المقدَّسة للخصوبة. كان الاضطراب واقعًا بين «ليليث»، المسماة يد «إنانا»، والإلهة التي تمثلها، التي كانت هي نفسها توصم أحيانًا بهذا اللقب «البغي المقدَّسة».

مرر عينيه مرة أخرى فقرأ أن «ليليث» هي التي تغوي الرجال فتقتلهم انتقامًا. وهي قاتلة الأطفال وهم في بطون أمهاتهم، حيث كان هناك اعتقاد في القرون الوسطى بذلك، ومما يذكره المقال أن هناك تعويذة مكوَّنة من أسماء الملائكة الثلاثة كانوا يضعونها لحماية الأطفال من الأرواح الشريرة، خصوصًا من «ليليث» المنتقمة.. كما أن هناك طرقًا أخرى لحماية الأطفال منها.

وأخيرًا توصَّل «هشام» في بحثه إلى أن «ليليث» تم ذكرها مرارًا في الأدب

كمصدر إلهام من خلال فيكتور هوجو، وريمي دوجورمون، ولورانس دورال. حاول أن يبحث عن معلومات أخرى فوجد المعلومات متشابهة، ولم يصل إلى جديد سوى بعض الفقرات عن الأصل اللغوي للكلمة، حيث لم يهتم كثيرًا بهذا الأمر.. نظر خلفه فوجد أمه تنظر له والبخور في يديها.. قبل أن يسمعا صوتًا بالخارج.

صوت عاصفة.

* * *

تش.. تش.. تش.

تش.. تش..

سمعا هذا الصوت، بينما الرؤية تتضح تدريجيًا لديه.. كان الصوت انكماش أوراق، صوتًا شبيهًا بالضغط بقدمك على ورقة شجر ذابلة فتنكسر.. اكتملت الرؤية فكان أول ما وقعت عليه عيناه هو ذلك الشاب قليل الجسد، قمحي اللون، صغير الوجه، الجالس أمام مكتب ماسكًا قلمًا رصاصًا ويكتب أو يرسم على ورقة سرعان ما يكرمشها فتتخذ الشكل الكروي ويرميها بجانبه في مقبرة الأوراق الجماعية على أرض الغرفة.. مقبرة بها ما يزيد على مائة جثة ورقية. مشى «وحيد» قليلًا ليقف بجانبه، فتعرَّف على ملامحه البشوشة.. إنه «هشام» جاره.. لا يعلم «وحيد» هل انتهت لعنة الجحيم التي بدأها؟ المهم الآن أنه في الخارج.

- «هشام».

انتظر ليتلقى أي رد من «هشام»، أو أن يلتفت للصوت، فلم يحدث هذا.

- «هشام» أنا هنا.

.....

ما زال يرسم ويكرمش ويرمي.. لدرجة أن أرض الغرفة أصبحت بحرًا للأوراق من السهل السباحة فيه.

- «هشام» ألم تسمعني؟

تيقن «وحيد» أنه غير مرئي وغير مسموع كشبح ميت.. ذكَّره بفيلم مصري رآه من قبل.

-«هشام» أنا...

سمع صراخًا يأتي من خارج الغرفة وسيدة تدخل.. تصرخ في «هشام» الذي قام مفزوعًا وهي تقول:

- الشقة تحترق يا «هشام».

في أقل من ثوانٍ لم يرهما أمامه.. خرج وراءهما إلى الجحيم.. ولكن الجحيم في هذه المرة في شقة «هشام»، النيران تشتعل في كل مكان، نظر «وحيد» إلى ركن في الحائط عندما أشار «هشام» لأمه قائلًا:

- انظري يا أمي.

نظروا جميعًا.. آثار النيران على الحائط تركت شيئًا غريبًا لم يكن مفهومًا عند «هشام» وأمه.. ولكن بالتأكيد فهمه «وحيد».

انتفض «وحيد» فزعًا من الكلمة عندما رأى تلك الملعونة بهيئتها القبيحة واقفة تنظر له.. والنار تشتعل فيه.. لا يدري كيف تسللت النيران إليه.. يصرخ لعله يلفت نظر «هشام» وأمه، ولكن لا حياة لمن تنادي.. يستسلم لقدره، ثم لم يشعر بشيء بعدها.

* * *

«اسجد لي، لأنقذك، وأتشفع لك من اللعنة».

في حرقة لا مزيل لها، وفي غياهب الجحيم، ينفخ ضجرًا.. ألم أخرج من هذا المكان؟ ما الذي أحضرني إلى هنا مرة أخرى؟ اللعنة على الجحيم، يجلس «وحيد» على تلك الصخرة الموجودة في وسط الجحيم.. وسط الحِمَم.. وسط النيران.. ينظر إلى السقف فلا أثر لطيور الأبابيل هذه.. لا أثر لرأسَي صديقيه.. فقط الجحيم و«ليليث» وأبناؤها، ينظر لـ«ليليث»، ثم يفكر فيما قالته.. أأسجد لكِ أيتها المعتوهة؟ أخلقني الله لأسجد لشيطانة؟ خذي مني بصقة

تطفئك وتقضي عليكِ بلا شك.
يبصق نحوها.. تصرخ غاضبة:
- إذن فلا مهرب عزيزي «وحيد».
- لن أهرب، عجِّلي بقدري بحق الجحيم.
- قدرك سيأتي من دون عجل.. فأنتم بنو «آدم» عجولون.
- أنا أريد قدري هذا فورًا.
- لا، ليس بهذه السهولة.
- سهولة؟
- لا بد من الانتقام أولًا.
- قدري أولًا.

* * *

الساعة تشير إلى الثالثة عصرًا، وما زال الرائد «إبراهيم» جالسًا على مكتبه في أسى وحنق ودهشة مبالغ فيها.. لا بد أن يندهش بالطبع، فالرعب الذي رآه يحتِّم عليه وعلى غيره أن يصاب بالجنون.. يصاب بالذعر. لا يفكر في أي شيء سوى في الرسومات والصورة التي صورتها كاميرا «هشام» فيقلِّب بين يديه الأوراق التي تركها «هشام» اليوم.. تلك الرسومات.. أمعقول هذا؟ أمعقول أن يكون هذا الشاب على حق؟! ربما يكون شابًا مندفعًا وربما يكون خياليًا! في عقله تساؤلات كثيرة لا يعلم كيف يرتبها، فتزاحمت عليه، وكادت أن تفقده صوابه، وكادت تتلبسه، كما يتلبس الجن العاشق جسد امرأة تقف وهي تنظر بزهو إلى صورتها في المرآة، لولا أن دخل عليه عامل البوفيه وفي يده كوب القهوة الخاص به.. نظر الرائد «إبراهيم» له نظرة خاطفة وانتفض كبرَّاد يكاد أن ينفجر من غليان الماء به.. حيث رآه، هذا المخلوق أو هذه الشيطانة التي في الصورة.. وفي عينيها تتوغل النار وعلى فمها ابتسامة المنتصر.. احمرَّت عيناه من شدة الرعب، وحاول أن يصرخ، فخانه صوته حينها عندما رآها تقترب منه.. وكلما اقتربت زاد انتفاضًا ورغبة في الصراخ

ولكن لا جدوى و..

- أأنت بخير يا سيدي؟

أغمض عينيه قسرًا، ثم فتحهما بقوة، فإذ هو عم «فاروق»، عامل البوفيه، ينظر له في شفقة، ويقول له تلك الجملة.. بينما يقف «إبراهيم» شاغرًا فاه، لا يقوى على الكلام أو القيام متسمرًا في مكانه.. نظر إلى ساعته فوجدها الثالثة وثلاث دقائق.

* * *

عندما هبَّ الحريق في منزل «هشام» وأمه وبذلا مع جيرانهما وفريق المطافي جهدًا كبيرًا في إطفاء كل ذرة طاغية قاسية من ذرات النيران حتى استجابت النيران لجهودهم كانت الشقة المحترقة قد أصبح كل شيء فيها يكسوه السواد.. هذا اللون المرادف لكل خراب وكل فساد.. لون الظلام ولون الموت.. الشقة أصبحت هكذا.. السجاجيد سوداء، والستائر سوداء، والبلاط مال إلى البني أقرب للأسود، حتى الحوائط البيضاء اتخذت ذلك اللون، ما عدا ركن كان أبيض، وما زال، عدا بضعة أجزاء فيه تتخذ حروفًا عبرية لا يفهم أحد معناها.. حتى «هشام» وأمه، قال «هشام» داخل نفسه إنها مجرد آثار للحريق ولا تعني شيئًا محددًا.. لقد مارس «الباريدوليا» كما يتذكَّرها.. فـ«الباريدوليا» هي نوع من الوهم، كأن تنظر إلى قطعة خبز محترقة مثلًا وتتوهم أنك رأيت وجه شخص ما مثلًا، أو أن تتخيل صورًا للحيوانات في السحاب، أو رؤية وجه رجل عندما تنظر إلى القمر.. فقد قرأ عن هذه الظاهرة من قبل أيضًا.. وبالتأكيد أن هذه الأشياء المرسومة على الحائط هي أشياء وهمية لا تعني أي شيء.. نوع من أنواع الجنون والأوهام المرتبطة بالصدمة؛ صدمة حريق المنزل.

انطفأت النيران وانتهت المشكلة.. ووعدهما الجيران بإعادة ترميم الشقة على نفقة صاحب العمارة ونفقتهم. فشكرهم «هشام» على هذا.. وعاد الجميع إلى منازلهم تاركين «هشام» وأمه في صدمة من هذا الحريق المفاجئ

الذي لا أحد يعلم مصدره.. نيران تشتعل من اللاشيء؟ أمر غريب، ولكن لا بد أن ينسوه، والزمان كفيل بمساعدتهما على النسيان.

«اللاب توب» والكاميرا لم يضرهما أي شيء.. وحمدَ «هشام» ربَّه على هذا.. فأخذ الكاميرا ليصوِّر ما تركته النيران على الحائط، لعله يجد له معنى أو لا يجد، مع أنه يتمنَّى الأخيرة فيرتاح قلبه.. انتهى من التصوير وجلس يقلِّب في الصور.. لمح أمه تمر بجانبه في الصالة ذاهبة إلى المطبخ.. فقام ليريها ما صوَّره فوجدها بالداخل مولِّية ظهرها، فنادى عليها ليريها الصور، وعندما التفتت له وقعت الكاميرا من يده على الأرض بقوة.. ورجع إلى الوراء وهو يرى أمه تنظر له بعينيها السوداوين تمامًا.. مبتسمة:

- رباه.. إنها ليست أمي.

-٢٠-

في وسط صخب الجحيم.. تقف «ليليث» بكبريائها، وحولها أولادها.. تنظر إلى «وحيد» الموجود على بُعد منها كما كان.. كان الجحيم ساكنًا إلا من أصوات اللهب والشياطين.

إن من بدأ المأساة ينهيها.

نعم فمن بدأ تلك المأساة لا بد أن ينهيها.. نظر «وحيد» إلى «ليليث»، وكانا يظهران كتمثالين نحتهما نحَّات سوداوي الأفكار.. من منهما بدأ المأساة إذن؟!

بالتأكيد سنجد الإجابة عند الأقوى في هذه الجلسة الشيطانية تحت باطن الأرض.

والأقوى في هذه الحالة.. هي «ليليث».

كاد قلبه يخرج من بين أضلعه باكيًا ليقبِّل القدم الشيطانية البشعة التي كانت فيما مضى قدمًا لأجمل نساء العالم ويترجاها لمسامحته وإخلاء سبيله، وحمل اللعنة الشبيهة بأطنان من الخرسانة من على ظهره وكتفيه، ولكنه أمسك قلبه في هذه اللحظة.. فليس «وحيد» من يتذلل لأنثى مهما كانت،

فما باله بشيطانة.
- أنت من بدأتها يا «آدم».
لا داعي إذن أن تتعجب من قراءتها للأفكار.. ولا تتعجب من كلمة «آدم».
- إن ملكة من ملوك العالم السفلي، مثلي، لا يمكنها أن تبدأ باللعنة.. فالنار المشتعلة لا تشتعل من جنسها.. وأنا من جنس النار كما تعلم.
- وهل أنا من بدأتها إذن؟
- نعم.
- قولي لي ماذا فعلت لأجل كل هذا؟
- ستعرف عندما يحين موعد المعرفة.
انتفض «وحيد» عندما رآها تفرد جناحيها وتطير أو تقفز، كلاهما واحد، ذاهبة نحوه فتضم جسده بجناحيها.. ينظر إلى وجهها البشع فيصرخ:
- ماذا ستفعلين أيتها الملعونة؟
طارت به وسط عيون أولادها.. ثم هوت كصخرة تهوى من أعتى قمم الجبل فتسقط هي وهو إلى الجحيم الفعلي.. النيران السائلة.. الحِمَم.. تهوى به فتخترقها كما لو كان شخصًا يخترق سطح البحر، لتنزل به إلى قاع الجحيم.. في أسفل سافلين.
نفذت من قاع الجحيم الذي يمتد لآلاف إن لم يكن ملايين الكيلومترات، وقد عبرتها في ثوانٍ لتخرج من فوهة بركانية، بالتأكيد كانت في الجانب الآخر من الأرض.. لتطير وهو في حوزتها بين أرجاء السماء السوداء فينتهي الأمر إلى هبوط بعيد المدى على أرض جرداء وسط نظرات الكائنات الأخرى.
الغراب الأسود.
بومة شبه سوداء.
ضبع أحدب.
ومخلوق جديد.. كلب أسود ضخم جدًّا.
قبل أن تهبط في سلام.. اشتعلت النار في جزء ما في هذه الأرض الجرداء

لتهبط عليها.. أخمدتها وفردت جناحيها فسقط «وحيد» وهو يحاول أن يقنع نفسه أنه فقط يهذي.. سقط وسط نظرات هذه الكائنات، ووسط صرخة «ليليث» الممتدة للأفق.

* * * *

داخل مكتب أنيق يبدو أنه ملك رجل ذي سلطة.. مكتب يذكرك بمكاتب الصفوة في الأفلام.. الحقيقة أن هذا البذخ ليس في الأفلام فقط؛ لأن هذا المكتب هو مكتب اللواء «ممدوح صابر»، وهو شخصية مهمة في المباحث الجنائية.

المهم أنه في ذلك اليوم جرى حوار ما بين الرائد «إبراهيم» واللواء «ممدوح»، بدأه اللواء «ممدوح»، الذي يظهر من لهجته أنه يعرف الرائد «إبراهيم» معرفة شخصية، فوالده كان من أشد أصدقائه، قبل أن يتقاعد الأب تاركًا ولده «إبراهيم» في دائرة الشرطة والمباحث.

- تستقيل؟ أنت أصغر من أن تترك الخدمة يا «إبراهيم».

- ولكن هذه رغبتي يا أفندم.

- قرار كهذا خطير ولا رجعة فيه كما تعلم يا سيادة الرائد.

- أعلم هذا وما زلت مصرًا على الاستقالة.

- والقضية التي تعمل عليها ماذا سيكون مصيرها؟

- يأخذها غيري.

- امممممم.

وجد «ممدوح» أنه ينبغي الاستسلام لرغبة «إبراهيم».

- وماذا ستفعل بعد أن تترك الخدمة؟

- سأسافر إلى أي بلد عربي أعمل به وأتزوج.

- بهذه السهولة؟

- سيساعدني الله يا أفندم، ولكني الآن أرجوك أن توافق على الاستقالة.

لم يدرِ الرائد «إبراهيم» بنفسه إلا وهو خارج غرفة اللواء، وقد تمت الموافقة

على استقالته من جانب الأخير، عندما خرج زفر بقوة.. وعندما خرج من المبنى بأكمله أخرج من حقيبته مجموعة من الأوراق.. تلك الرسومات الملعونة، وأخرج ولاعته وقام بحرقها ليرتخي جسده في راحة، ومضى في طريقه لا ينوي على شيء.

وجد قدمه تجرُّه كقاتل يجرُّ ضحيته ليذبحها إلى المنزل حيث منزل أبيه وأمه، دخل عليهما في أسى وهو يخشى أن يقول لأبيه إنه ترك الخدمة وأصبح متقاعدًا، من دون زوجة ولا أولاد، لديه شقة يسكن فيها وحيدًا في أسى.. دعك من هذا كله فقد أصبح اليوم بلا عمل.

دخل البيت وسلَّم عليهما ورحَّبا به وهو مستغرق في التفكير فيما جعله يقدم على هذا الأمر، فالكوابيس لا تفارقه سواء في يقظته أو في منامه.. هذه الرسومات جعلته يرى أشياء لا يتوقع رؤيتها.. تلك المخلوقة تنظر له في وعيد في كل مكان يذهب إليه، أصبح لا يطيق تلك القضية الشيطانية التي يؤمن جيدًا أن سببها شيطان وربما شيطانة، ولكن طبيعة عمله لا تأخذ بالخرافات، فأصبح أسيرًا داخل الحرب بين إيمانه بهذه القوة الشيطانية، وبين عقلانية عمله التي تنص على أن: قتيل + دليل = قاتل.

وفي هذه الحالة يوجد الكثير من القتلى ولا يوجد دليل ولا قاتل، حتى الأعضاء التي تم بترها ليست موجودة اختفت من الوجود بأكمله!

لا يعرف ماذا حدث عندما ذهب إلى منزل العائلة ولا كم من الوقت قضى.. في النهاية عاد إلى منزله ليجلس وحيدًا.. في داخله أمل أن تنتهي المأساة.

* * *

كان «هشام» يعدو في الشقة هربًا من تلك المخلوقة التي رآها.. يجري صارخًا على أمه التي سرعان ما رآها خارجة من غرفتها تنظر له في ذعر:

- ماذا بك؟

نظر لها في دهشة ليتأكد أنها أمه فعلًا، فقال:

- هناك شيء بشع في المطبخ.

لم تصدقه بالطبع، وذهبت معه فلم يريا شيئًا، وهذا طبيعي.. نظر لها كأنه يقول لها:

- لا يا أمي لست مجنونًا.

مرت أيام قليلة والشقة يُعاد ترميمها ودهانها كأن شيئًا لم يحدث بناء على وعود الجيران.. و«هشام» انعزل عن العالم يفكر فيما يحدث له.. جرائم قتل.. كوابيس.. فتاة.. حريق.. القشعريرة لدى سماعه لاسم «ليليث».

عادت القشعريرة مرة أخرى.

دخلت أمه عليه فدعا ألا تقول له أنباء غير سارة أولًا، وأن تكون هي فعلًا أمه ثانيًا.. دخلت عليه وهي تقول في بؤس:

- خذ واقرأ هذا الخبر عن هذا الضابط.

- أي ضابط؟

- الضابط الذي ذهبت له مرارًا بخصوص تلك القضية المشؤومة.

- ما به؟

- خذ واقرأ.

سحب منها الجريدة ووقعت عيناه على الخبر.. وأخذ يقرأه ولمعت عيناه من الضيق.

«.... قام الرائد (إبراهيم) بتقديم استقالته تاركًا مجموعة قضايا القتل التي شغلت الرأي العام بخصوص...».

لم يكمل قراءة الخبر.. الرائد «إبراهيم» استقال. وهذا معناه أن ما فعلته ذهب هباءً.

ولا يوجد أقسى من أن تبذل جهدك في أمر سيذهب في النهاية داخل سلة القمامة.

نظر إلى أمه ولم يجد ما يقوله.

ذهب الكلام.

كان يفكر في دوافع استقالة «إبراهيم».. الدوافع واضحة غير محتاجة

لتخمين.
السبب هو قوة شريرة منعته من الاستمرار في هذه القضايا.
القوة نفسها التي جعلته في حالته هذه.
إذن بالتأكيد أن هذه القوة هي من نفذت جرائم القتل والاختفاء هذه.
كانت أمه تنظر له، ثم قطعت خيوط أفكاره وحبل تأملاته، قائلة له وهي تبسمل وتتعوذ بالله من الشيطان الرجيم:
- إن هذه القضية ملعونة يا بنيَّ فلا تشغل نفسك بها وترسم لها الرسومات.
- رسوماااات! أين الرسومات؟
تبًا، لقد تركت بعضها لدى الرائد «إبراهيم»

* * *

عندما أفاق «وحيد» من شبه غيبوبته نظر إلى تلك الشيطانة الواقفة أمامه.. ونظر حوله وصرخ من الرعب.. فرعب ما رآه بالنسبة له أشد خطرًا من الشياطين.. فالذي رآه كان ضبعًا قبيح الشكل ينظر لـ«وحيد» كأنه جيفة لحيوان نافق.. وكلب أسود ضخم.. إنه الشيطان لا محالة.. غراب يقف بهيئته المزرية!
- أهلًا بك في منزلي على الأرض يا «آدم».
منزلها؟ إنها خرابة بمعنى أصح.. لم يطل تعجبه، فهو يعلم أن الجن والشياطين يسكنون الحمَّامات والأماكن المهجورة وهذا المكان مهجور.. أرض قاحلة تقع وسط غابة.. ولكن أي غابة؟
صوت البوم.. نعم إنها البومة تنظر له في وعيد فهو يخافها ويخاف الأفعى من بعد ما حدث له من قبل بسبب «ليليث».. بمناسبة ذكر الأفاعي.. المكان ينقصه أفعى.
أشجار خالية بالية تهتز أغصانها كأن هناك ديناصورًا قادمًا.. «ليليث» تنظر في سعادة كمن يرى شخصًا عزيزًا على قلبه.. الحيوانات تنظر مترقبة.. «وحيد» كاد قلبه يسقط بين قدميه ليواريه التراب.. شيء ما قادم.

أفعى متوسطة الضخامة تقع بين ضخامة «الأناكوندا» و«الكوبرا» تهيم في الأرض وهي تعيث فسادًا، فمن شدة قوتها تقع أضخم الأشجار من ضربة من رأسها.. نظر «وحيد» لها في فزع، فما رآه في كفة ورؤيته لهذا المخلوق الضخم كان في كفة أخرى.

- لا تخف يا «آدم».. فهؤلاء أصدقائي.. لو شئت لجعلتك وجبة دسمة في بطونهم، ولكن النهاية ليست بهذا اليسر.

- لا يهمني كيف تكوني نهايتي المهم أن تأتي

- كفاك شعارات يا «آدم».

- كفاكِ أنتِ يا ملعونة، اعلمي.. أصدقاؤك هؤلاء لا يعنوني في شيء.

- سنرى الآن.

اقتربت هذه الأفعى من «ليليث» ووقفت عندها في خشوع، فربتت الأخيرة على جلد الأولى في حنان، ثم اقتربت منها الكائنات الأخرى، فرأى مدى ما بينهم من الحب والود.. و«وحيد» ينظر لهم في تعجب.. في دهشة.

* * *

أيام مرت و«هشام» في غرفته سارحًا في ملكوت الورقة التي يخط عليها قلمه الرصاص ليرسم.. لا يدري ما الذي يرسمه، إنها أحلامه وكوابيسه، إن أردنا الدقة.

الباب مغلق، وبين دقيقة وأخرى تدخل أمه عليه لتراه في حالته هذه فترمي عليه سؤالًا فلا يرد فتخرج من الغرفة مشفقة على ابنها.

- ما هذا الشرود يا بنيَّ؟ ألم تتناول الطعام بعد؟

تخرج من الغرفة وفي عقل «هشام» شرود.. تخط يده على الورقة في حركات روتينية تكاد إن رأيته من بعيد تظنه لعبة تعمل بالزمبلك، ولملئت منه رعبًا، فهيئته مزرية، لم يستحم منذ بضعة أيام، ذقنه ليست حليقة، ثيابه تغيَّر لونها.

فووووووووووووووووووووووووووووووووووووووو..

صوت الرياح والعاصفة بالخارج جعله ينتفض، تحوَّل من تلك اللعبة الميكانيكية إلى إنسان من لحم ودم. نظر إلى الخارج حيث العاصفة الشديدة. «ليليث»، شيطانة الليل والعواصف.

جاء إلى خاطره تلك الكلمات التي قرأها في صفحة الموقع على الإنترنت، ولهذا انتفض.

نظر إلى ما خطته يداه.. اتسعت حدقة عينيه، «ليليث» تقف في مكان ما وأسفل قدميها هذا الشاب الذي لا يعرفه وحولها رتوش لعاصفة ضخمة.

«وحيد»!

تساءل في نفسه: هل هذا الشاب هو «وحيد»؟

اللعنة على «ليليث».

تُرى ماذا يحدث لك يا «وحيد»؟!

* * *

ككل العاطلين عن العمل يجلس «إبراهيم»، الرائد «إبراهيم» سابقًا، على طاولة السفرة في شقته، طويل الذقن، رثَّ الثياب، ينظر إلى طبق البصارة الصغير الموضوع أمامه.

- إني أكره البصارة.

لا يعلم لماذا أعدَّ طبق البصارة بنفسه، على الرغم من أنه يفضل الموت جائعًا عن أن يتناول تلك الأكلة. هذه الأكلة التي تشبه الكشك، ولكنه أخضر كالعفن.. نظر طويلًا إلى الطبق ورغيف الخبز أمامه، ثم قام بتناول لقمة أو لقمتين والشياطين تأكل معه فقد نسى أن يسمى الله:

- بسم الله أوله وآخره.

ثم تذكَّر شكل تلك المخلوقة التي رأى صورتها وزوجها «إبليس» وأولادها وهم كادوا أن يأكلوا معه.. تناول لقمتين أخريين وقام.. إنه يمقت تلك الأكلة، فكيف يفكر أن يطبخها بمحض إرادته، ولذلك تعجب عندما وجد نفسه يقوم بإعدادها.

دخل الحمَّام ليغسل يده، فجاءت في عقله صورة الشيطانة «ليليث»:
- أعوذ بالله من الخبث والخبائث.
غسل يديه وتوضأ ليدخل غرفته ويصلِّي العصر، داعيًا الله أن يبعد عنه تلك الشيطانة التي رأى صورتها.
انتهى من صلاته فقام وأمسك بالمصحف وبدأ يقرأ ويقرأ حتى لا تقترب منه المخلوقة التي أقلقت حياته وجعلته يستقيل من عمله.. أخذ يقرأ حتى رنَّ جرس باب شقته:
- صدق الله العظيم.
وضع المصحف في مسنده مثلما كان، وقام ليفتح الباب.. تخيَّل لوهلة أنه سيفتح الباب فيجد تلك القبيحة الشيطانة تنظر له والدماء تسيل من شدقيها.. أفاق من خياله واقترب من الباب قائلًا:
- مَن؟
رد عليه صوت حارس العقار:
- أنا «يوسف» البواب يا سعادة الباشا.
ففتح له.. كانت هيئة «يوسف» مختلفة عن هيئة البوابين في الأفلام العربية التي اعتدنا عليها في أوائل الثلاثينات، فقد كان يلبس الـ«تيشيرت» والبنطلون، بدل الجلباب، وشعره الأسود من دون عمَّة، وشارب لا يمت بصلة لشارب الزعيم محمد فريد.
- خير يا «يوسف»؟
- جورنال اليوم كما طلبته مني أمس يا باشا.
- آه تذكرت، ولكن لماذا هذا التأخير؟
كأن «إبراهيم» فتح «الحنفية»، حيث أخذ «يوسف» يحكي له مشاكل كل جار من جيران العمارة.. «الأستاذ عامر»، الساكن في الدور الثالث، وقع في مشاجرة مع البقَّال أسفل العمارة.. و«الست نانا» الساكنة في الدور الرابع.
- حسنًا حسنًا يا «يوسف».. بعدين.

سحب الجورنال وأغلق الباب تاركًا «يوسف» بثرثرته ليذهب إلى الجحيم.. ما له ومالِ «عامر» و«نانا»؟

جلس على السفرة وفرد الجورنال كالعادة.. لفت نظره خبر صغير في أسفل الصفحة:

«النيابة العامة: إغلاق قضية مقتل «سامح سعد» و«مازن الدرنديلي» واختفاء «وحيد سعيد» ومقتل أبيه «سعيد ناصر» وتم تقييد القضية ضد مجهول لعدم وجود أدلة كافية و....».

كان قد توقع هذا من قبل.. نظر إلى اللاشيء بشرود، ثم وضع الجريدة جانبًا.

-٢١-

«كل ما يحدث لك ليس صدفة.. تمامًا مثل كوني ملكة العالم السفلي، وتمامًا مثل خروجك من الجنة يا آدم».

قالتها «ليليث» أمام «وحيد» المتعجب من تلك الشيطانة المروضة للوحوش الناظرة إليه بشرٍّ مطلق.. قالت له هذه الجملة وهو لا يعلم ما مناسبتها، فنظر لها متعجبًا لعلها توضح له ما تقصده كيف يكون كل ما يحدث له ليس من قبيل الصدفة؟ وقوعه بين يدي شيطانة، ومقتل أبيه، ومقتل صديقيه، كل هذا مخطط ومدروس؟ وممن؟

- لا تتعجب هكذا، نحن معشر الشياطين، أتريد أن ترى نموذجًا لصدق كلامي؟

لم تنتظر منه أن يرد، فسرعان ما وجد شعاعًا أبيض يخرج من ناحيتها إليه.. ضوءًا لم تتحمله عيناه.. فعجبًا للملعونة؛ تارة صرخات، وتارة أضواء، وكلاهما مؤذٍ للحواس!

وجد نفسه واقفًا في شارع واسع.. رأى الناس -من عصره والحمد لله- يمشون أمامه وحولهم أشخاص آخرون ليسوا ببشر، كائنات مخيفة تشبه أولاد

الملعونة، كما رآهم في الجحيم من قبل، فلم يعد يخاف من هيئتهم التي بالتأكيد ليست حقيقية (إذا كانت أشكالهم تلك ليست حقيقية فماذا عن أشكالهم الحقيقية إذن؟). وقف كمن يشاهد فيلمًا عبر شاشة السينما ليرى الذي يحدث أمامه.. فها هو هذا الكائن يقترب من فتاة تمشي وفجأة يصبح بخارًا بسيطًا فتتنفسه الفتاة حتى يدخل بداخلها ويذوب داخل دمها حتى وصل إلى شرايين مخها.. «وحيد» يرى هذا كله.. يرى تسربه وسريانه عبر دمها ولا تسألني كيف.. هذا ما حدث! سمع من موضعه هذا أصواتًا خافتة قبل أن تتحول لأفكار داخل تلك الفتاة.

- أنتِ فتاة جميلة.. أين الدلع في مشيتك؟ أتحبين أن يظنوا أنكِ ذكر يمشي؟ بالتأكيد هذه الفتاة جاء لها هذا الخاطر الذي سمعه!

نظر «وحيد» متعجبًا إلى ما رآه وما سمعه، فطوال حياته ظن أن الشيطان يأتي، ثم يقترب من أحدنا ويهمس في أذنه. لم يكن يعلم أنه يجري في أجسادنا مجرى الدم فعلًا.

لمح هذه الفتاة وهي تغيِّر من مشيتها قليلًا لدرجة أن مؤخرتها أصبحت تهتز يمينًا وشمالًا كلما تخطو خطوة، تعجب، ثم نظر إلى الناحية الأخرى، حيث شاب يقف ويقترب منه كائن آخر ويصبح بخارًا ويسري بداخله حتى وصل لمخه.. ثم تلك الأفكار التي يسمعها «وحيد».

- أرأيت هذه الفتاة؟ تمشي بدلع، إنها تريد أن تلفت نظرك. هيا كن رجلًا واقترب حتى لا يقولوا عليك الأقاويل.. أثبت رجولتك أيها الرجل.

بالطبع أفكار كهذه تثير الشاب، فهو في كل الأحوال يريد أن يظهر لمن حوله أنه رجل، وها هي الفرصة جاءت، فاقترب منها وألقى لها كلمتين من باب الغزل، فنظرت له في دلال، ثم توقفت فتحدث معها وما زال الشيطانان يتحدثان على هيئة أفكار لكي تُترجم إلى حوار بين الشاب والفتاة ينتهي بأين نتقابل؟ ويقعان في المحظور في النهاية مثلما وقع هو شخصيًا في هذه الخدعة، وفي هذه النهاية مرات ومرات.. هكذا قال «وحيد».

إن الشياطين تتقن عملها فعلًا على أكمل وجه.. فلا مجال للصدف.

«هشام» بلا مبالاة لما يحدث حوله يجلس في غرفته على مكتبه يخط بيده شاردًا يفكر ولا يفكر، يفكر في حق جاره وصديقيه وأبيه.. أين اختفى «وحيد»؟

يفكر في مصير تلك القضية بعدما تخلى عنها الرائد «إبراهيم».. يفكر في سر قشعريرته لسماع كلمة «ليليث»، والتفكير في هذه الشيطانة التي رآها في حوش المنزل القديم.. يفكر في تلك العاصفة بالخارج! سحب نظره عن الورقة التي يخط عليها، ونظر إلى جانبها فوجد جريدة.. من أين أتت؟

أمسك الجريدة ونظر فيها فوجد ما كان قد توقعه منذ فترة.. القضية قُيدت ضد مجهول وتم إغلاقها.. أمعقول أن ينتهي كل ما فعله؟ وماذا عن الصورة التي في الكاميرا؟ ماذا عن رسوماته التي ضاعت منه مع الرائد، وتلك الرسمة التي خطتها يده منذ قليل؟

يعلم جيدًا أن تلك القصة لا يمكن أن يستوعبها أي عقل أو يصدقها. فمن يصدق أن «وحيد» خطفته شيطانة، وأن تلك الشيطانة هي التي قتلت والده وصديقيه، وأنها هي الشيطانة نفسها التي التقطتها الكاميرا خاصته فيما بعد.. وأنه رآها بدلًا من أمه.. وهي بالتأكيد، وبلا شك، السبب نفسه الذي جعل «إبراهيم» يترك الخدمة، وهي السبب نفسه الذي جعل القضية تغلق لعدم وجود أي أدلة! أي عقل سيجد كل ذلك غير منطقي وهراء بالتأكيد.

مَن العاقل الذي يؤمن بقوة الشياطين الأسطورية هذه؟

أو مَن المجنون إن لزم الأمر؟

عاد بنظره إلى الورقة، وأمسك القلم، وأخذ يخط عليها كعادته القديمة قبل أن يتذكَّر أخيرًا أنه قد تعفَّن من عدم الاستحمام.. قام وسحب ملابسه الجديدة وخرج من الغرفة لأول مرة منذ أيام.

* * *

جلس «إبراهيم» شاردًا والجريدة في يده.. رنَّ جرس الموبايل، فنظر حوله باحثًا عنه، وعندما وجده أخيرًا.. رأى رقم اللواء «ممدوح صابر».

- ألو.

- ألو يا «إبراهيم»، أنا اللواء ممدوح صابر.

- أهلًا أهلًا سيادة اللواء.

- كيف حالك يا بنيَّ، وما أخبارك؟

- بخير.

- وجدت عملًا؟

صمت «إبراهيم» متمنيًا أن يغلق الخط في وجهه، أهو يتصل ليقول له هل وجدت عملًا؟

- لا.. ما زلت أبحث.

- الله يوفقك، قرأت الخبر اليوم؟

- بخصوص تلك القضية؟ نعم قرأته.

- من الجيد أن هذا حدث.

بكل ملل وسأم قال:

- بالطبع.

أغلق السكة، نظر «إبراهيم» فوجد مكالمات لم يرد عليها، وهمَّ بمعرفة مَن الذي اتصل به مؤخرًا؛ فكان «يوسف» البواب، حيث طلبه ليأتي له بطلبات المنزل.. هناك شيء آخر جعله يشك في قواه العقلية.. أين هذا الرقم الغريب في سجل المكالمات؟

تذكَّر أن رقم اللواء «ممدوح» مُسجل على موبايله، فقام بالاتصال به ليسأله عن هذا الرقم الذي اختفى من الموبايل فور انتهاء المكالمة بينهما.. بعد رنات طويلة جاء صوت اللواء «ممدوح»:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام يا سيادة اللواء.

- أهلًا يا «إبراهيم»، خير.
- الرقم الذي اتصلت بي من خلاله منذ دقائق أهو رقم سيادتك؟
- أنا اتصلت بك منذ دقائق؟ لم يحدث؟! لم أتصل بك!
لقد وقعت في الفخ.. هكذا قالها لنفسه.. وبعد ما اعتذر له أغلق السكة في خوف.. مَن إذن الذي كلَّمه.. ولماذا؟
جاءت في خاطره كلمة واحدة:
الشيطانة!

* * *

بعد عودة «وحيد» إلى واقعه، حيث وقوفه أمام «ليليث»، وأصدقائها من الضواري، ولغة العطف والحنان الدائرة بينها وبينهم، كانت تنظر له لتعيده إليها بعد ما جعلته يرى ما رآه من وسوسة أولادها للبشر.
- لا تتعجب فهذا ما يحدث. نحن نريد هلاككم والانتقام منكم يا «آدم».. واعلم أننا عندما ننتقم لأنفسنا أو لغيرنا يصبح انتقامنا فُجرًا لا بد أن يخشاه البشر.
يعرف «وحيد» جيدًا أن ما رآه صحيح، ولكن ما علاقته به؟
لا يعرف، ولكنه انتظر منها أي رد.
وجاء الرد.. العاصفة من حوله.. ضباب كثيف.. أصبح لا يرى أي شيء.. ثم....
«وحيد» في حضن أبيه فور إفاقته من الغيبوبة في غرفته.
رأس «سعيد» بداخل الثلاجة، ينظر لـ«وحيد» مبحلقًا.. وأشلاؤه بجانبه.
«وحيد» يقف في الصحراء ينظر إلى الرجل السامري وهو يفارق الحياة على يد «لي لي».
الكوبرا وهي تنقض عليه.
البومة تنقض عليه.
صوت صراخ مفزع يسمعه في وسط هذه الومضات والضباب، فيفتح عينيه متوقعًا أن يجد موقع المكان قد تغيَّر، ولكن ما رآه كان عكس ما توقعه.. فهو

ما زال في تلك الغابة الموحشة يبكي على حاله وتلك المخلوقة البشعة تنظر له نطقت حروفاً بالعبرية :

(أنا المتمردة)..

تذكَّر نبرات نطق هذه الكلمة على الفور، قبل أن تثور ثورة جعلت الأعاصير تثور بدورها.. ثورة غضب جعلت الأشجار تهتز أمام عينيه وتتهاوى كالعمالقة، وقد اشتعلت فيها النيران اشتعالًا.

ثورة غضب كادت تجعل أعضاءه تذوب من الرعب، فأنت لا تعرف عاقبة غضب الشياطين، فغضب الشياطين ليس مثل غضب البشر؟

ثورة غضب قالت على أثرها جملة عرف من خلالها مصيره المحتوم على شيء لا يدركه، أو ربما أدركه، وهو لا يعلم أنه يدركه.

- النهاية قد اقتربت يا «وحيد».

لو كانت قد قالت يا «آدم» لاطمأن؛ لأن اسمه ليس «آدم».. المشكلة الحقيقية أنها قالت.. يا «وحيد».

* * *

تدخل «أم هشام» عليه الغرفة فتجد حالته كحالة أهل الكهف الذين لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا ولملئت منهم رعبًا.. عيناه حمراوان من قلة النوم، تدخل عليه الغرفة للمرة المليون تقريبًا تطمئن على ابنها وتقول له:

- «هشام»، رد على أمك يا بنيَّ.

فيسمعها ويظل شاردًا كما هو.

فتعيد عليه نداءها.. ينظر لها ويرد في شرود مخلوط بخبال:

- النهاية اقتربت.

- أفق من هذيانك هذا.

- شرَّها اقترب.

- مَن هذه؟

لم يرد عليها ثانية، وعاد إلى شروده ورسوماته، في عقل أمه فضول بأن تعرف

أخيرًا ماذا يكتب أو يرسم ابنها.. ذهبت نحوه تنظر إلى الأوراق فرأت امرأة واقفة وحولها يوجد بوم وكلب ضخم وثعبان ضخم وغراب وضبع. نظرت أمه إلى «هشام» الشارد ثم خرجت، فقد شعرت بالقشعريرة تسري في جسدها. لقد سارت القشعريرة بجبروتها عبر جسدها.. وجسده.

«هشام» أصبح في نظر أمه.. «مخاوي».

تسألني عن معنى كلمة «مخاوي»؟ أقول لك إن معناها أنه مصاحب شخصًا ما من الجان.. والسؤال هنا هو مَن الذي يصاحبه «هشام» أو يخاويه؟ أو مَن التي يصاحبها؟

- أعوذ بالله من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربي أن يحضرون.

هكذا قالت في نفسها إلى أن هدأت أنفاسها وأفكارها، تاركة ولدها المسكين في شروده ورسوماته.

* * *

«إبراهيم» ماذا جرى لك؟

أصبحت وحيدًا تجرُّ وراءك أحبال الأحزان.

ما تعرفه أنك تحملُ من الأحزان جبالًا.

لم يدرِ ما تلك الخواطر التي جاءت له فجأة.. فقام ليفعل أي شيء يحطِّم به تلك الخواطر، ينزل؟ فكرة ليست بجيدة.. فمنذ أن ترك عمله وأصبح المنزل رفيقه.. والرعب!

هل تلك المخلوقة معه الآن؟

هو يعلم جيدًا أن الجن والشياطين حوله مثل باقي البشر.. يظن مثل أي شخص آخر أنه وحيد في غرفته، ولكنه بالتأكيد مخطئ. فهو دائمًا يفكر في تلك الشيطانة التي ظهرت له كثيرًا في تلك الأيام، على الرغم من أنه ترك القضية بأكملها.

يفكر.. ويفكر.. فيقرر أن يتخذ تلك الفكرة التي ليست بجيدة فينزل يتمشَّى حول منزله لعله يتخلص من الكآبة.

* * *

لا يدري كم من الوقت مرَّ وهو هكذا.. نائم.

ولكنه استمر في النوم، مستقبِلًا تلك الكوابيس التي تأتي له.

وجاء الكابوس.. وجد نفسه جالسًا في قاعة مظلمة، نجمة سداسية.. نجمة داوود اليهودية، مرسومة على الأرض بدقة.. رائحة بخور تشمئز منها النفس تسري في القاعة الواسعة الأطراف.

فتاة جالسة على ركبتيها تعطي له ظهرها، تتمتم بلغة غريبة لم يفهمها.. بالتأكيد هي العبرية، تلك الفتاة تتمتم بصوت عالٍ وصل إلى حد الصياح.. تلتفت برأسها إليه فيرى وجهًا بشعًا.. مشوَّهًا:

«ليليث»، «ليليث».

انتهى الكابوس فاستيقظ غارقًا في عرقه، ناطقًا لتلك الكلمة.. نظر حوله أخيرًا فاطمأن قلبه ووجد نفسه جالسًا على مكتبه في مكانه المعتاد وأمامه ورقة بيضاء، وسرعان ما سحب القلم ثم بدأ في الرسم.. رسم المشهد بالتفصيل.

انتهى من الرسم، ثم استعاد تفاصيل الكابوس.. ما هذا المكان؟ وما هذه النجمة اليهودية؟ إن هذه الطقوس تشبه طقوس «الكابالا»، كما سمع عنها من قبل كمعلومات عامة.. هل هذا هو السحر الأسود؟ أو الكابالا؟ هل كان «وحيد» ووالده وصديقاه ضحيَّة لسحر أو طقوس دينية يهودية وثنية، طقوس من السحر الأسود؟ إنه بحاجة الآن لمعرفة معلومات عن ذلك.

دخل على شبكة الإنترنت، ثم كتب «الكابالا»، ودخل على أول موقع رآه أمامه وبدأ في القراءة.. وتوصل إلى الآتي:

«الكابالا» هي شعائر يهودية تصوفية سرية، والهدف من ورائها «فهم إرادة الله»، حسب زعمهم.

في معتقد اليهود كان نبيهم «حزقيال» من الناس الممارسين لتلك الشعائر، التي تمكَّن من خلالها من رؤية الله، ومن هنا بدأوا في ممارسة التصوف اليهودي لرؤية الله، فأصبح مذهبًا وله أتباع.

أتباع هذا المذهب يؤمنون بتناسخ الأرواح.. والمذهب يرسم طريقة عددية في التفسير والتأويل، وبعض فنون السحر والتنجيم.

«الكابالا» أصبح مرتبطًا بشكل كبير بالسحر الأسود، والسحر الأسود هو ذلك السحر الذي يعتمد على القوى الشريرة الشيطانية، واستخدامها في أشياء خبيثة وشريرة كالقتل.

انتهى من القراءة فأغلق عينيه في هدوء يفكر في مدى ما وصل له.. هل «ليليث» هي سحر أسود؟

(طك.. طك.. طك.. طك)..

نظر إلى الفتحة الصغيرة في الحائط المؤدية إلى المنور.. فشعر بأن هناك خطبًا ما، فقام على أثره بشكل قهري، وخرج من غرفته لأول مرة لتراه أمه مرحِّبة به فلم يسمعها.. تجاوزها وفتح باب الشقة أمامها وهي تقول له:

- «هشام»، «هشام»، يا ابني.. ما لك؟

صعد السلالم ليصل إلى الدور الأعلى فوجد فتاة تقف أمام باب شقة «سعيد».. فتاة أنيقة.. ستايل.. وجهها جميل.. شعرت بالتوتر والارتباك عندما رأته صاعدًا على السلالم حتى وقف على بعد سلمتين منها متشككًا، ونظر لها قائلًا:

- هل أساعدك في شيء؟

- هذه هي شقة «عم سعيد»، أليس كذلك؟

- نعم هي، مَن حضرتك؟

- أنا؟ قريبة لهم، وعلمت بشأن الحادث وجئت لمعاينة الشقة قبل بيعها.

- قريبة لهم؟

صعد السلمتين بثقة، ثم ابتسم قائلًا:

- ما اسمك؟

- اسمي «جانيت»، وأنت؟

- «هشام».

(لا لمْ تنتهِ بعد..)..
١٤٦

-٢٢-

Back Flash

«جون» يفتح باب فيلَّته ويدخل، الفيلَّا واسعة من الداخل، مليئة بالتماثيل الحجرية؛ تمثال لرجل فوق ظهر حصان، وتمثال لفتاة عارية، وتمثال للبطل الروماني هرقل، وتمثال لفتاة عارية يخرج من فمها نابان.

دخل إلى غرفة مكتبه.. غرفة كريهة الرائحة.. مكتب أسود مثل لون الجدران، عليه كتاب مفتوح، عليه قطرات من الدم، يخلع رابطة عنقه ثم يجلس على الكرسي الأسود المتحرك يمينًا ويسارًا.. يلبس نظارته ويتأمل الصفحات أمامه، ثم فجأة ينظر أمامه إلى منطقة فوق الباب. نجمة داوود العبرية، يسمع طرقات على الباب، وبصوت هادئ يقول:

- ادخلي.

تفتح الباب فتاة جميلة ذات بشرة قمحاوية لذيذة، وشفتين مكتنزتين، وشعر أسود ناعم طويل.. تدخل عليه فتجده يعمل.. نظرت له في فضول، ثم جلست أمامه في مكتبه، وقالت:

- ما الأمر يا أبي.

- لقد عرفت منذ قليل تطبيقًا علميًا لسحر جديد.

- وما هو؟
- «ليليث».
- بحق يهوه.
- لا تقلقي يا ابنتي، فأنا أريد منك طلبًا، ومتأكد أنكِ ستساعدينني فيه.
نظرت له متسائلة ليكمل هو..
- «وحيد سعيد»، ابن ذلك المصري السخيف «سعيد»، شاب كثير العلاقات بالفتيات، وبما أنني في نظره صديق والده، فكان يحكي لي عن مكالماته مع الفتيات فلو تجذبينه ليتم السحر عليه سأكون مشكورًا لكِ يا ابنتي، فأنا أعتقد أنه مادة خصبة لهذه التجربة.
- لماذا هو بالذات، فالشباب مثله كثيرون؟
- دعكِ من لماذا، ستعرفين مع الوقت لماذا هو.. وقولي لي ما رأيك هل ستساعدينني؟
- وكيف لي أن أساعدك يا أبي؟
عرفت «جانيت» من أبيها ما ينبغي عليها فعله، وفورًا دخلت على موقع التواصل الاجتماعي وقامت بإرسال طلب صداقة لـ«وحيد».. وانتظرت إلى أن قام بالموافقة، وسرعان ما دار أول حوار بينهما:
- اسمي «جانيت»، وأنت؟
- وحيد سعيد.
واتفقا في هذه المحادثة على المقابلة في فيلَّتها، وقد جاء في موعده، ومارسا الحب، وقد عشقته أثناء تلك الممارسة، وانتهيا، وغادر، وجاء بعدها «جون»، الذي استقبل ابنته قائلًا:
- ماذا حدث؟
«لم أقدر..».
- أأحببتِه من أول لقاء هكذا؟
- لا، ولكني لم أجرؤ على أذيته.

قام بالصراخ فيها، ولم تكن حينها تسمع أي كلمة من كلام أبيها وصراخه، فقد كانت مشغولة في التفكير في هذا الشاب الذي تعلَّق قلبها به فجأة.. كيف لهذا الشاب أن يكون زير نساء؟ إن أباها بالتأكيد يخلط الأمور ببعضها..
قالت له في هدوء عميق:
- ولكنه ليس كما قلت.
حسنًا.. لأثبت لك كلامي.. اجعليه يتعرف على صديقتك، ولنرى ماذا سيفعل معها، هل يخلص لحبه لك كما تقولين؟
لم تنطق واعتذرت لأبيها بحجة أنها لا تريد أن تشارك في سحر، فتركها كما تشاء.
وفي الأيام التالية أخذت تحاول الاتصال به وإرسال الرسائل له عبر موقع التواصل، ولكن «وحيد» لم يرد عليها.. جُرح قلبها، ومرت الأيام، فظنت أنه أخذ منها ما يريده وانتهى الأمر.. شعرت بمرارة في نفسها، وتأججت نار الانتقام بداخلها فعادت إلى أبيها:
- أنا موافقة، اترك العملية كاملة لي، ولا أريد منك سوى مساهمة بسيطة يا أبي.
اتفقت مع صديقتها «لورا» حتى تتأكد من خيانة «وحيد» وهجره لها.. وعندما وافقت «لورا» أعطتها عنوان صفحته الشخصية على موقع التواصل الاجتماعي.. عادت «لورا» بعد ساعات وهي تضحك قائلة:
- لقد مات فيَّ عشقًا.
وهنا اتفقت «جانيت» مع «لورا» على أنه يستحق أن تحل عليه لعنة «ليليث».. فقد صدق أبوها.
- خذي هذا الأنبوب وهذا المنِّوم.. وادعيه إلى منزلك اليوم واحصُلي على سائله المنوي وأحضريه لي.. كوني معه كالغانية اللعوب، وإن أعطاكِ المال خذيه مثلما فعل معي.
أخذت «لورا» الأنبوب وعملت على تنفيذ كل ما قالته لها «جانيت».. ففي

منزل «لورا»، وبينما كانت تجلس على سريرها رنَّت عليها «جانيت» فقامت بالرد على هاتفها المحمول:

- أنا ما زلت أنتظره.. لا لن أنسى سأحصل لكِ على ما تريدين.

- امممممم.

- حسنًا، أغلقي الخط فإنه يتصل بي الآن.

أغلقت الخط، ثم فتحت على «وحيد»:

- ألو.. حبيبي.. لقد وصلت؟ وأنا في انتظارك.. باي.

قامت من فوق السرير وتعطرت وذهبت ناحية الباب ووقفت وانتظرت إلى أن رنَّ جرس الباب، وفتحت فوجدت «وحيد» أمامها ودخل واحتضنته واحتضنها بشكل يليق بعاشقين تعرفا على بعضهما البعض منذ سنين، لا منذ بضع ساعات فقط!

جلست في حديقة الفيلَّا «جانيت» بجانب «لورا»، فالأولى في غاية الشغف مما حدث عند اللقاء، وهل جاءت لها بالمعلوم؟ تنظر في عينيها الجميلتين فترى البشرى فابتسمت، ومن دون أي كلمة أعطت لها الأنبوب وبه المادة الصفراوية البيضاء. ابتسمت «جانيت»، فقد أثبتت لها «لورا» أنها أجدر بالمهمة التي من خلالها تتخلص من «وحيد»، الذي انخدعت فيه. والدها على حق إذن!

وهيا لنجرِّب «ليليث» الملعونة.

دخلت «جانيت» مكتب والدها وجلست على المكتب ومعها الأنبوب، ثم أخذت تقرأ كلمات لا تُسمع، ذهبت إلى تمثال صغير حجري أثري لـ«ليليث»، موضوع على الأرض، وجلست أمامه، وأخرجت من ثوبها كيسًا من التراب وسكبته على قطعة صغيرة من الحجر الجرانيت بجانب التمثال، وقامت بسكب السائل المنوي من الأنبوب على التراب فتماسك حتى أصبح شبيهًا بالصلصال.. هنا قامت بتشكيله على هيئة إنسان ووضعته أمام التمثال، وأخيرًا قامت فأخذت سكينًا وولاعة كانا فوق المكتب وعادت

وقامت بقطع رأس هذا الطين وهي تتمتم.. حتى فصلت الرأس عن الجسد وقامت وجلست على مكتب والدها حتى دخل، وسألها:

- هل تم الأمر؟

- يتبقى يا أبي شيء واحد.

لم يسألها ما هو، فقد علَّم ابنته ما ينبغي فعله بنفسها.. خرج من المكتب فنظرت إلى ساعتها ورأت أن الوقت قد حان.. ذهبت نحو الطين الناشف المصنوع من التراب والسائل المنوي وقامت بحرقه بالولاعة حتى أصبح رمادًا.. قامت بإعادة الرماد إلى الكيس وخرجت من المكتب لتذهب إلى المطعم الذي قاربت لحظة افتتاحه.. «جنة آدم».. كل هذا بعد ساعتين من دخولها المكتب.

نار تحرق في «وحيد»، وهناك شابان يصرخان فيه حتى لا تبتلعه النيران.

استيقظت «جانيت» من نومها مبتسمة، قائلة في نفسها:

- إن اللعنة تعمل على أكمل وجه.

لكن ما جعلها تكف عن الابتسام هو هذان الشابان اللذان يحاولان إنقاذه، فقد كانت تظن أن «سعيد» هو العقبة الوحيدة أمام هذه اللعنة فتخلصت منه، ولكن تبين لها أن هناك عائقًا آخر؛ صديقاه.. فقد حكى لها عنهما في المرة الأولى والأخيرة التي قابلا بعضهما فيها.

- «ليليث».. لا تتركي مخلوقًا يعكر صفو مهمتك.

قالتها، ثم قامت وأحضرت باقي الرماد الموضوع في الكيس، ثم تمتمت فيه باسمَي صديقيه، ودخلت المكتب حيث يقبع التمثال الصغير، ثم أفرغته على التمثال.. والشر في عينيها.

فاليوم نهايتكما.

* * * *

تجلس «جانيت» متشحة بالسواد وعلى وجهها ترتسم ابتسامة.. ابتسامة سوداء، إن كان لابتسامة الشر لون، تجلس في ذلك المعبد القديم.. معبد

يهودي تعلوه نجمة داوود المشهورة.. تجلس منتظرة حضور شخص ما.. وأخيرًا حضرت.. ظهرت بقباحتها ووحشيتها، إنها «ليليث»، تقف على باب المعبد.. لقد ظهرت فجأة وفي يدها شنطة سوداء تفتحها وترمى محتوياتها.. تخطو «جانيت» ذاهبة نحو محتوى الشنطة.. فترى رؤوسًا وأعضاء ذكرية.. أشلاء صديقَي «وحيد»؛ (مازن وسامح).. و(هشام).. علا التعجب وجه «جانيت»، وسألت:

- أين «وحيد»؟

أشارت لها تلك المخلوقة البشعة التي لم تخف «جانيت» إطلاقًا إلى ركن المعبد فنظرت، ووجدت شخصًا ما جالسًا على وجهه علامات الجنون.. قالت في دهشة:

- «وحيد»؟

خطت خطواتها نحوه، ثم نظرت له، ورفع نظره إليها، وخرج من شروده قليلًا عندما رآها، وهمس بصوت خافت:

- «جانيت»؟

نظرت «جانيت» خلفها فوجدت «ليليث» تعطيها سكينًا.. سحبته منها ونظرت لـ«وحيد» في قسوة.

* * *

هذه الغابة الموحشة.. حيث مكان تسكن فيه الضباع.. تظهر «جانيت» من الظلام.. تمشي والنشوة تظهر عليها من مشيتها والشنطة في يدها.. تشم الضباع رائحة الدماء فتسرع نحوها كالكلاب الوفية حين تجتمع حول صاحبها تنتظر الطعام.. فتحت الشنطة وأفرغت محتواها.. وتساقطت الرؤوس والأعضاء، وقبل أن تهجم الضباع على الوليمة كلها أمسكت رأس «وحيد» وعضوه الذكري ورفعتهما إلى السماء وهي تنظر إلى الشجرة الخالية الأوراق التي تجلس عليها «ليليث»، التي تقفز صارخة تلك الصرخة المفزعة في انتصار لتأخذ نصيبها من الوليمة، فتقول بصوتها البشع:

- معًا للأبد.

* * *

في معرض للوحات يتوافد عليه الزوار، فيرون الإبداع المرسوم، تقبع صورة هي محط أنظار الزوار.. صورة مرسوم بداخلها كائن مخيف (شيطانة)، هذا الكائن، أو هذه الشيطانة، جالسة -كوضع الأسد الذي انقضَّ على غزالة- فوق شخص يظهر على عينيه أقصى علامات الرعب.

تقف أمام اللوحة فتاة متَّشحة السواد.. تتأمل اللوحة.. يربت على كتفها شخص ما فتلتفت فترى أباها يقول لها:

- هيا يا «جانيت».

ويكملان السير في أنحاء المعرض.

* * *

يقف الرائد «إبراهيم» أمام اللوحة، وتدمع عيناه، ويرفع يديه ويقرأ الفاتحة.. ينظر إلى الكائن الموجود في اللوحة، فيتذكر شكل «ليليث» ويقشعر جسده.. يتأمل ملامح «هشام» المفزعة في هذه اللوحة حتى يسمع صوتًا خلفه يدندن، صوتًا أنثويًا.. يدق قلبه في ريبة لعلها تكون تلك الشيطانة! يقرر الالتفات، وقد حدث فرأى فتاة واقفة أمامه تلبس الأسود تبتسم له ويراها متأملة في اللوحة هي الأخرى وتقول:

- رسَّام هذه اللوحة عبقري.

سكت قليلًا متأملًا في وجهها الجميل حتى تأكد أنها ليست شيطانة.

- أي نعم فعلًا.

تنظر له وكأنها لاحظت وجوده لأول مرة وهو ينظر لها:

- هل تعرفه؟

- مَن؟

- صاحب اللوحة؟

- احم.. لا.. لا أعرفه.

تبتسم بخبث ثم تمد يدها قائلة:
- أنا «جانيت».. وأنتَ؟